سحر الجاذبية

وبيولوجيا الإعجاب الإنساني

سحر الجاذبية

وبيولوجيا الإعجاب الإنساني

الدكتور

مصطفى قره جولي

سحر الجاذبية وبيولوجيا الإعجاب الإنساني

تأليف: مصطفى قره جولي
الطبعة الأولى: ٢٠٠٥
عدد النسخ: ١٠٠٠
الإخراج الفني: فيصل حفيان
تصميم الغلاف: فيصل حفيان
جميع العمليات الفنية والطباعية تمت في :
مؤسسة رسلان علاء الدين للطباعة والتجارة

يطلب الكتاب على العنوان التالي:

دار رسلان
للطباعة والنشر والتوزيع
دمشق ــ سورية
هاتف: ٥٦٢٧٠٦٠ فاكس: ٥٦١٣٢٤١
ص.ب: جرمانا /٢٥٩/

تمهيد

ما هي الجاذبية؟

هل هي هبة إلهية، إشعاع، سموٌّ أم سلطة تستمد شرعيتها من أعماق الحياة الباطنية وبالتالي فهي لا تسكن هياكل الموضة والجمال ولا تخضع للعمر بالتأكيد؟

أم أنها قوة وتناغم ما بين الذات ونفسها قبل كل شيء؟

عندما يمارس أحدنا سلطة الجاذبية هذه تنقلب صلاته مع العالم من حوله ليشعر بقوة ومحبة تعملان على ترسيخ وجوده وحجب أي خلل في العلاقة مع الآخر فيرفل بالحيوية والسعادة.

فهل هذه الجاذبية قوة نفسية دفاعية – هجومية أم أنها ببساطة من ملذات الذات الباطنية التي تنبعث نحو الآخر دون المساس برصيد الذات ومنعتها؟

وهل المقدرة على اكتساب الجاذبية ممكنة بيولوجياً؟

وهل يكفي المرء لبلوغ ذلك الاستسلام للتعبير بذكاء عن حياته الداخلية مثلاً وعن حبه للآخر، للحياة والدفاع عن هذه الأخيرة حتى لو تطلب الأمر التعرض للعقلانية نفسها؟

وهل يمكن للجاذبية أن تكون نتيجة خبرة تكتسب، نعمل على تحسينها وتطويرها؟

إنني كإنسان وبيولوجي أتساءل وأبحث عن تفسيرات ربما لها علاقة بعلوم التشريح والوظائف الحيوية تكشف للقارئ أصول الجاذبية الحيوية.

كانت كتابة شيء ما عن الجمال والجاذبية تراودني بإلحاح منذ زمن سابق لمعرفتي التشريحية بالدماغ وقبل فهمي للآليات الكيميائية المؤدية لوظائفه.

وما كدت أعرف حتى فاض بي التساؤل...

المشكلة هي أنني أميل إلى الكتابة بدفء وأنا أنحت في الكلمة الثلجية.

المشكلة هي في قطرات الماء الدافئ التي ما إن تنسل بين أصابعي حتى تذيب ما علق بها زمناً من ندوب الفكر والعقلانية.

بفعل جمالٍ ؟ أم بفعل الجاذبية؟..

سأحاول رغم تعثري بمشاعري تتبع تحليل موضوعي قدر استطاعتي وسأحاول أيضاً أن أضع الجمال على سكة الجاذبية رافضاً التيهان بينهما.

لقد قررت أن أكتب في النهاية بالطريقة التي مارست فيها خاصيتي في الكيمياء الحيوية بين برودة الجزيئات وتفاعلاتها المولدة – الماصة للحرارة.

دمشق ٢٠٠٤/١٠/١٩

الدكتور

مصطفى قره جولي

الفصل الأول

الخلط الخطير ما بين الجاذبية والجمال

١ـ جمال الشكل المطابق

ما الذي يدفع البعض إلى هذا الدرك في البحث عن مظهر افتراضـــي ينفي ما هم عليه حقيقة؟ ولم هذا السـعي المرضــي لاسـتحواذ الجمال؟ وكيف يمكن للبعض الآخر طلب الشــروع في جراحة تعمل على تبديل بعض مظاهر الوجه مثلاً بلا أية أسباب فيزيولوجية حقيقية سوى الانسياق وراء أوهام الجمال المفروض تجارياً من خلال مسابقات الجمال المنمّط ومقاييسه وسعفه الذهبية؟!

هل هو من قبيل الوســـواس القهري مثلاً؟ أم بنتيجة ضـــغوطات اجتماعية تســـويقية تجعل من الهيئة مطلباً مُلحّاً وظاهرة للإبهار كما في ممارســـات البيع التجارية؟

لا شك في الأمر تضليل بيّن يحجب عن الناظر خلجات الكثيرين في "شراء" الرغبة في محبة الآخرين لهم وإعجابهم.

عندما يصـل المرء إلى هكذا قرار فهو يبحث عن قوة الذات التي يفتقدها.. بين رُهاب التماهي ونشد المحاكاة.

هو يبحث عن رأسمال يدخل بموجبه السوق ليكسب و يخسر فيخضـع نفسـه بذلك للتبعية وتبعاتها وقد يلقى بنفسه طواعية في سوق جديدة للنخاسة.. برسم أفكار تسلطية جسدية فائقة الإتقان والإخراج.

إن جاذبية الإنسان الحقيقية ليست حساباً ولا تخضع للمقاييس بمفهومه.

يعتبر وجه المرء (وجسـده) جميلاً عندما ينضـحُ بالحياة في تعبيره عن البهجة كما في الحزن، عن القوة كما في الضـــعف وفي كل حالات نبض القلب وكهرباء الدماغ التي لا تشرى ولا تباع.

الجاذبية الإنســـانية لا تأســـرها الحســـابات لأنها طريقة لحياة الذات بحرية كالروح حقيقة.

كل مرحلة من مراحل الذات تكســـبنا إمكانات جديدة تختلف عن ســـابقاتها، نجهلها ولكنها متصلة بخيط حريري باطني على مسار الحياة كلها:

إننا محصلة ما كنا عليه وما لا نعرف ما سنؤول إليه. وعلى هذه الشاكلة تبدو الحياة وكأنها مغامرة يتجلى وجهنا (وجسدنا) على أثرها انعكاساً حياً صادقاً لما كنا وما نحن عليه وما سيكون حتماً وفي كل لحظة انعكاساً لنا في محطات قطار حياتنا الباقية.

الجاذبية الإنســـانية هي قبل كل شـــيء قبول الذات والثقة بها إلى حد إطلاق العنان لها في التعبير والفعل دونما قيد أو شرط ولا يخلو ذلك بالطبع من مطبّات بل مخاطر تتميز بنكهة الذات التي لا تقربُ نفسها تماماً ولا تتمثل غيرها بالضرورة.

إن مقدرة كهذه لا يمكن أن تُكتشــف بتقليد صــور مُعّدة للبيع والتســويق على الطريق بل بالممارسة الشاقة للحرية من خلال شخصية متميزة.

يمكن للجمال الطبيعي أن يساعد على ذلك وتحسينه كتصحيح أنف أو ذقن أو شفة مشقوقة ولكن عملية التصحيح بحد ذاتها تُبعد المرء عن مركز الذات وتحول دون التصالح معها، بهكذا تدخل خارجي.

عندما يلجأ البعض – ومن النســـاء ما يفوق الرجال – إلى عمليات "تجميلية" جراحية فهم عملياً في وضـــعية طلاق مع الذات وعقد قران هذه الأخيرة على ذات شبه إنسية.

إنني أتوق في هذه المقاربة وهي نتاج فصلٍ من التفكر إلى توفير فهم بيولوجي لجاذبية الإنسان وعلاقتها بالذات مفتاح الجمال.

تعرفت خلال سنوات طويلة إلى عدد كبير من الرجال والنساء وأود أن أقول وبكل رقة وبســـاطة بأنه لا تظهر النســـاء جميلات بدون تعابير جميلة وجاذبيات حقيقية. وأنه من خلال لقاء أو حديث يتردد ويطول تتكشـــف للمرء المصـــادف والمرتاح جاذبية كامنة كبيرة لا علاقة لها بهيئته بالضرورة.

إن الخشية من توصيف الآخر لنا هي مصدر القلق المتنامي والموقع في شباك الرغبة في البحث عن جمال صـــوري مزيف. هذه الرغبة خطرة لأنها قناع يحول دون التعبير الطبيعي عن الذات ويحرف حب الذات عن مجراه فتســتحيل الجاذبية. إن هذه

الرغبة تأسر بل تهوس على الأغلب وهي استجابة على العموم لضغوطات نفسية واجتماعية من النوعية غير الصحية.

فهل يمكن لهذه الرغبة أن تمحي أثر الزمن في نفسك ونفسي بخفته وثقله؟

هل يمكن لهذه الرغبة أن تعدم الروح في جسد لتبعث فيه روحاً جديدة وقد جئنا إلى العالم الحي بروح واحدة وراجعة أصولاً؟

وهل من ينظر في المرآة ليرى نفسه يرى روحه؟

وإذا كانت الروح تقبل الجراحة فعلاً فلا بد من البحث الحثيث عن نسيجها، وسيطول ذلك بالتأكيد لما بعد تسليمها أصولاً. ومن يعتقد ذلك إنما هو واهم ومجحف بحق روحه الفطرية التي تسكن جسده وتحيا على وقع الأيض في خلايا أنسجته كلها حتى تأذن الساعة للرحيل.

الجمالُ المنمّطُ سلعة بائرة لمرضاة الروح الحائرة.

كذب على الذات وكذب على الآخر في الذات.

عندما يخضع الطفل للأوامر والأوامر المضادة من قبل ذويه أو المشرفين عليه وموجهيه في المدرسة وغيرها يبدأ بتعلم الكذب وربما تصديقه وهو يفعل ذلك لاحقاً تحت الضغوطات الاجتماعية وحتى السياسية أيضاً.

معركة الذات مع تلك الأوامر والأوامر المضادة مشكلة قد تترك آثارها وندباتها على هالة المرء وفي جسده أيضاً فتظهر تشويهاً للذات والذاكرة وعدواناً عليهما ويستوجب ردّه بل نفيه عنهما.

وغالباً ما تكون نظرة الآخر إلينا سيّدة الموقف تتملكنا لتوقعنا في صراع مرير مع الذات وتنال من توازننا وترمي بنا في أخاديد الحماقة.

كمن يرى في تعديل شكل الأنف كسب معركة على الآخر بقهر الذات وتطويعها وهو ما يجول ببنات أفكار الكثيرين ممن طرقوا باب الجراحة التجميلية ومنهم من تحمل الأمرّين في سبيل ذلك.

أو ليست أخاديد الذاكرة أثبت وأرحم؟

إننا نعيش في عصـــر العنت العقلاني وتفوق الأنا في عالم تحفه الخيبة من كل صوب.

عالم الجمال واحد من هذه الحدود التي بدأت تتســـلل عبرها مشـــارط أطباء بالجملة في تنميط الوجه والصدر والمؤخرة كذلك.. صنائع هؤلاء الأطباء اللاهثين باتت مرئية للعيان ولكنها تبقى صـــنائع لا تقبل المحاكاة بالحياة التي ترفل دونما مرآة.

إن الألم في الذات والألم في الظهور على ســـطح الذات طوران لحالة واحدة "والخلطة" منهما شديدة الانفجار.

إن محاولة مسح الألم أو آثاره على أقل تقدير تمسّ إلى حد كبير بخصـوصـية الفرد العميقة وكل عبث بالأثر الظاهر ينال من الجوهر على كل حال ويعمل على تبديل الجاذبية الطبيعية. وأتساءل عندما أسمع ببراعة الجراحة التجميلية واعتبارها فناً، عن نوعية الإنســـان الذي أذعن راضـــياً لذلك العبث بذاكرة جلده ولحم جســـده وبخصـوصـية تعابير وجهه ونظراته الآتية من بعيد في روحه. وهي خيانة للحقيقة وأكاد أشعر بالخيانة حلوليّاً.

قد لا نشعر على الدوام بتلك الخيانة ولكنها بمرورها في وسطنا وتحت ناظرناً ندخل فيما يشبه الخيانة "الحلولية" أي المُنسلة نفوذياً على الرغم منا وما تتهيّب له قناعاتنا.

حالة من المرارة تحرك ما فوقنا وما تحتنا وحســـبي ألا تمسّ بالضـــرورة ما بيننا حتى تثبت علاقتنا صدق الجاذبية.

وللرجل أحياناً مســؤولية أكيدة في مســألة هذا الخلط ما بين الجمال – الشـكل والجاذبية- وغالباً ما يوقع المرأة في هوس البحث عن إعجابه ولو بمشـــرط جراح متدرب لرغبتها في المحافظة على دوام إعجابه وتمّلكِه "بجمالها".. خوفاً عليه من الوقوع في شِباك "جمال" منافس.

للرجل مسؤولية أكيدة في عدم نقل صورة للجمال الذي يريد بأمانة وهو غالباً ما يتخبط هو الآخر في تقديره لوجوه النسوة أمام ناظريه في الحياة العامة حيث تشرأب الأعناق للجمال – الشكل والشباب "الدائم" والجاذبية الإغرائية وقد استبدلت المرأة بالأنثى.

نحن في عصر فقد الرجلُ فيه المقدرة على إغواء المرأة في حين تبحث هذه الأخيرة على الدوام في أسره بجمالها وأسر غيره.. وتستطيع.

وتسود حالة من الحتّ العاطفي في بيت الزوجية:

فقدَ الزوج الرغبة في التجدد عاطفياً كما فشل في التعايش الجاذبي مع زوجته فباتت هذه الأخيرة تعمل على تنميط "جمالها" بغية تشجيعه أو ردّه إليها.. أو عرضها لمغنطة غيره.

وكأنما العلاقة ما بينهما آلت إلى صورة للذكرى!

نكاد نجد أنفسنا في زمن يصبح الأزواج فيه أزواج ذكرى والزوجات أطلالاً لزمن مضى.

ومع ذلك ترددت في الآونة الأخيرة أصوات نسائية قبل غيرها تنذر بالخطر القائم على اعتبار المرأة مسئولة عن ذلك. وتدعي – وهي على حق تماماً- بأن مخططات تصنيع وتنميط الجمال إنما بدأت بأيدي الرجال أنفسهم سعياً وراء الربح التجاري في المقام الأول.

ومن الأصوات النسائية ما يدعو بالمقابل إلى نوعيّة أفضل في العلاقة ما بين الرجل والمرأة وفي حدود الإعجاب المتبادل أول مرة وفي رحاب الخيار الأول.. خيار الروح.

خلط الجمال بالجاذبية يهيئ لانمساخ ينفصل من جراءه الجمال عن الجاذبية لا محالة مما يعني بالضرورة الحسية تهميش بل تغييب الجمال المفترض "بتلبيسه" ثوب الجاذبية بمقاس آخر كما يظهر للعيان في اللوحات الإعلانية لتحقيق مآرب في الاقتصاد والصناعة والإنتاج وربما في السياسة.

٢- متى يصبح الجمال جاذبية؟

يتعرض الجمال الذي يمكن نعته بالعادي – أي الذي يعرف حدوده ما بين الجمال والجاذبية – إلى ابتزاز المؤسسات المستحكمة بالدعاية في مجتمعات العصر، والتي بدأت تركز بشكل فاضح على الجمال – الجسد.

أصبح الجسد ذو هالة وتعظيم لا يضاهى وكأن له سحر وقدسية لا سيما في عالم التسويق الذي لا حدود له بدءاً بالألبسة مروراً بالعطور وانتهاءً بالمآكل والمشارب المختلفة.

أجساد شابة جميلة ولكن فارغة، فراغ هذه الأجساد يؤهلها بامتياز لمثل هذه الأدوار، والذي يحدث هو أن الواحد أو الواحدة من عامة الناس قد يتمثل باطنياً هذا الفراغ التام ويشتري السلعة "الطُعم" لعدم قدرته على "استهلاك" الصورة التي تعرضها.

سلطة الدعاية هذه تستمد قوتها من أمثال هؤلاء الذين يعيشون فراغ الأنفس ولها ما يؤازرها بشدة من صحف ومجلات وتلفزيون وانترنيت وسينما ورياضة والنقل الجماعي وفي الشوارع والطرقات وطرقاً على البيوت باستثناء الكتاب وفنون المسرح.. ولكن إلى متى؟

ولا يرحمنا من تلك المشاهد إلاّ الابتلاء بعمى إرادي، ولكن إلى أية درجة يمكن ذلك؟

تجتاح الدعاية حياتنا الخاصة والعامة بشكل غير مسبوق بهدف الزعزعة والحض على احتياجات جديدة بالاعتماد على الشعور الطبيعي بالنقص من قبل بعد المستهدفين المستضعفين أصلاً في حياتهم.

إن التربية العائلية والمدرسية لا تقي شر هذه الدعاية بل تساعد عليها في بعض الأحيان و غالباً تمعنُ بعدم إعطائها الحيز اللازم لها بالتساؤل والتحليل والإجابة.

لقد ترسخت عند الناس عامة صورة الجمال المثالي وعمل الإعلام كذلك على الخلط ما بين هذا الجمال – الشكل والجاذبية بعرضه صوراً جميلة مبتهجة سعيدة مشرقة متساوية أو أنها جميلة ولكن متمردة..

فالسعادة هاهي.. أمامك فتشبّه يا مواطن!

إن الوقوع في شـرك فخ كهذا يعني الوقوع في أبشـع صـور وجودنا والتحول ذاتياً إلى مجرد كائنات غير راضية مزمنة. ومن هنا نشأت لدى البعض من النساء "الفارغات" وسوسة الاستعانة بالجراحة التجميلية.

٣ـ الجمال والجاذبية:

للجمال ثلاثة أبعاد:

البعد التكويني والبعد التاريخي والبعد الجغرافي.

أي أن الجمال بإحداثياته ثقافي يختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والأوسـاط المحيطة وقد عمل على ترسيخه فنانون كثر بعدما استلهموه في لحظة تأمل إنسانية، إلى أن ظهرت في القرن الماضـي ثقافة ما يسمى بالنجوم كمقياس أو نميط للجاذبية الجمالية الأمر الذي يتطلب عملاً بنائياً دؤوباً حول شخصيات نرجسية لا تقف عند منتصف الطريق.

إن الجمال النجومي هذا غالباً ما يسـتديم لوقت بالصـيانة وهو في الغالب لا صـلة له بالجمال النابع من جاذبية. إن الجمال قبل أي شـيء حالة تأثرية شـعورية تنتاب المرء على أثر نظرة أو تأمل وقد يكون خطراً على الجميل نفسـه بتعرضـه للاستغلال والملاحقات والضغوطات كافة من قبل من يعتبرون الجسد سبيل سلعة.

ويبقى المخرَج من هذه الإشكالية اعتماد الجاذبية الحقة، فعندما يمتزج الجمال بروح الجاذبية تزداد مقاومته فيقع الرائي ضـحية السـاحر الذي يجذب ويخيف ويحتوي من يدور بفلكه.

٤ـ كيف يُعدّ الجمالُ سلعة للبيع

تعتمد شـركات إنتاج مسـتحضـرات التجميل إلى تكريس نظرة الجاذبية لبيع منتجاتها عن طريق الصـورة الدعائية والتي تحشـرُ المنُتَج أو تعبئه في جمال أجوف..

فالصورة الدعائية هذه تحرك المشاعر باتجاه الرغبة في اقتناء المنتج المقترح ولا يوجد حدود بعد لمثل تلك الممارسـات في البيع لا سـيما فيما يتعلق بالهدف الجمالي

كأن تُظهر لنا صوراً لفاتنات شبه عاريات يلتقطن أنفاسهن أمام صبغة شعر عادية أو شامبو ربما مزيف تجعل منهن حوريات تأخذن بالألباب.. وأية ألباب!

أو تعرض لنا لوحات إعلانية من الجنسين في وضعيات إغرائية ورغبات ضمنية لتسويق الألبسة الداخلية وبعض صرعات العطور وأحمر الشفاه وغيرها..

كما لاحظنا مؤخراً صوراً لشابات تظهرن متمردات لتسويق التمرد عن طريق بعض التقليعات كالجينزات والاقراص المدمجة والسيارات الفارهة وغيرها..

لقد أضحت صورة الجمال المُنمّطّ قاعدة ثمينة للحض على الاستهلاك من أي نوع، الأمر الذي يجعلها خطرة لتأثيرها على الأنظمة الاجتماعية وعلى القوة الشرائية للأفراد وما قد تثيره لدى الكثيرين من إحباطات.

إن الهدف من هذه العملية برمتها هو البيع أي "فبركة" ظاهرة الحاجة نفسها.

فهل فقد الناس قدرتهم على التصوّر، أم أنهم أصبحوا يُؤخذون بالتماثيل والأقاويل ليقعوا في أحابيل سوق للرقيق والابتزاز؟

أم أننا أمام دكتاتورية من نوع جديد: دكتاتورية الإعلان المحرض على طلب "الجمال".. جمال منتجات مخابر التجميل ومعاهده المتخصصة، جمال ترقيعات بعض أطباء الجلدية وجمال بسطات محضرات الحمية وموائد التخسيس؟! *

---

* التداخل الشخصي مع اضطرابات الأكل:

مثل اضطراب فقدان الشهية العصبي أو القهم العصبي حسب ترجمة تصنيف منظمة الصحة العالمية العاشر أو اضطراب الضور أو الشره المرضي أو العصبي أو النهام العصبي حسب ترجمة تصنيف منظمة الصحة العالمية العاشر (١٩٩٩ صفحة١٨٧-١٩٢).

- المريضة بالقهم العصبي ينطبق عليها ما يمكن تسميته بالانشغال الوسواسي القهري بالنحافة وتفعل أفعالاً قهرية في الكثير من الحالات مثل أن تجد أن عليها وزن نفسها مرتين في اليوم أو بعد كل وجبة طعام..

كما أنها تقف أمام المرآة عارية لتتأمل وتتفحص مناطق تجمع الدهون في جسدها، وكيف تتغير حسب النظام الغذائي الصارم الذي يكاد يخلو من العناصر المغذية.

ثم إن هناك من تشتكي بانشغالها الوسواسي بكمّ السعرات الحرارية الموجودة في كل ما يصل فمها من أطعمة بحيث لا تستطيع التوقف عن هذه الأفكار بغية الحصول على هيئة منمطة.

- وكذلك المريضة بالنهام العصبي التي تتصف بوجود نوبات من فقدان التحكم في كمّ ونوعية الأكل تسمى بنوبات الدقر (أو اليويو) أو الأكل الشره ويليها على الفور قيام المريضة بالتقيؤ الذي تستثيره بنفسها بإدخال إصبعها أو كفها في فمها والضغط على الجزء الخلفي من اللسان.

والكثيرات من مريضات النهام العصبي يعانين أفكاراً وسواسية تتعلق بهذه النوبات بقدرتهن على منعها مقابل عجزهن عن ذلك.

كل هذه الأفكار والأفعال القهرية المصاحبة لاضطرابات الأكل توحي بعلاقة ما بالوسواس القهري ما دامت متعلقة في محتواها بالأكل أو متابعة رصد الوزن أو شكل الجسد أو الصورة العقلية للجسد.

إننا نعيش في عصـــر يتعاظم الطلب فيه على الإغراء بكل أشـــكاله ولكل أعماره، وكل واحد فينا هدف لإغراء يسـتهدفه. لقد أخذ جمال المرأة منذ عدة عقود يتفتق بصـورة مسـتقلة عن إرهاص وتمرد وبات أقرب إلى الإثارة منه إلى الرغبة الذاتية في الظهور والغبطة.

نفسُ الحرية هذه فردي دخيل ويتصــف بالخروج على المألوف ويتنامى اليوم متشَـحاً بالفوضـوية والتحللّ. انتهزت وسـائل الإعلام والدعاية هذه الظاهرة لتنقض على حرية المرأة من جديد وتزج بها وبنا في سوق الجسد راضين مكرهين.

وهنا يكمن الخطر لاسيما في الأوساط القلقة والتي لم تحسم أمرها والتي ترى في الصـــورة الدعائية ملجأً لنزوعها وإســـقاطاً لها على كوامنها وظلالها العتمة. دكتاتورية الإعلان حكم قائم في أيامنا ولكن بوسع الكثيرين تحقيرها أو الإفلات من سـيطرتها برفض بضـاعة الجمال هذه أولاً وكشـف مروجيها من أخصـائيي تنميط الجمال ومصـــممي بعض الأزياء وتجارة الجراحة التجميلية وســعاة أنظمة الحمية والبيولوجيا الجلدية لتفادي آثار الترهل والتشوه.

الفصل الثاني

جذّابون وجّذابات

١- الجاذبية الظرفية:

الجاذبية في معناها المُعصـــرَن هي أن تُقنع ويكاد يعتبرها البعض فن الإقناع وتحقيق الإعجاب وكأن الجاذبية أضحت من اختصاصات القشرة الدماغية الذكية.

لم يعد المفهوم من الجاذبية وضعاً إغرائياً جنسياً كما عُرفت به قديماً ولا حالة شعورية باطنية لنيل إعجاب الآخر والإعجاب به بنفس الوقت.

الجاذبية المُعصرنة إذن هي وسيلة لاستحواذ إعجاب الآخر وقد أضحى ذلك إلزامياً بالضـرورة على مستوى بعض العلاقات العامة وطرأ تشـويه واضـح على هذا المعنى في وســائل الإعلام يظهر الجاذبية وكأنها اليوم من المتطلبات لتســويق النفس أولاً ولبيع بعض السلع التجارية المعرضة للكساد.

وهذا ما قد يعبث على المدى الأبعد بالتراتب السلمي المعهود القائم على النفوذ وكأنما جاذبية الشــخص – إلى حد ما- باتت نافذة في العديد من الميادين ولاســيما التجارية وربما السياسية.

هذه الجاذبية الظرفية هي وليدة عصــرنا المأزوم وهي ليســت بالطبع مأمونة ولكنها ليست سلبية بالكامل.

٢- الجاذبية الحقيقية:

أما الجاذبية الحقيقية فتتجلى بوضــوح عندما تصــدر عن إشــعاع بالقوة داخلياً كما لو كانت نوعاً من التحدي للضعف في الذات وما يعتلج فيها من شكوك.

وهي على كل حال ليســـت قوة صـــلدة بقدر ما هي قوة مائعة كالماء، تحاذر العقبات، تحيط بها، تلتف حولها، تلامسها ولا تجابهها، بل تتخطاها مخلفة ذكراها.

هي بمثابة قوة للحياة وليســـت عقداً نبرمه مع الذات للنجاح في وظيفة أو خطاب أو تنافس جمالي.

الجاذبية الحقيقية هي كاللعب مع الحقيقة بالهرب منها، أمامها وبالوقوف عندها وإلى جانبها والتماس معها.

لعب طفولي ظريف يعبر عن أجواء من الحرية الداخلية وهي رياضة نفسية منعشة ولا مكان لجمال الشكل في ساحاتها.

الجاذبية هذه هي داخلية المنشأة والجراحة التجميلية التي تجريها بعض النساء على الخصوص لا تضيف شيئاً حيوياً معنوياً لهذه الجاذبية بل تحرمهن على الأغلب من رياضة حقيقية. الجاذبية تأتي في المقام الأول ومن ثم الجمال الجسدي ولا يمكن لهذا الأخير الادعاء بمرتبة الصدارة.

إنني أعتقد بأن كل منا يحتفظ في نفسه بمعين وافر من الجاذبية ولكنْ...

للجاذبية مخاطر لا يجرؤ البعض على مواجهتها إما عن جهل بقدراتهم أو خوف من الفشل أو تآكل في أريحيتهم تجاه أنفسهم، تجاه الآخرين وتجاه الحياة عموماً..

الجاذبية التي أتحدث عنها لا صلة لها بخطاب أو وضعية اجتماعية أو مهنية ولا بأية مقاييس للجمال المنمط أو القوة الجسدية، بل تتلخص بعبارة إقناع الآخر بشتى وسائل الإعجاب المُنزَّه والانجذاب له، أي أنها بمثابة سفرة نقل داخلي ذهاباً وإياباً على خط الآخر.

الجذّابون والجذّابات: هم أناس حالمون ويحلمون بأنفسهم، قوة حلمهم هذا تمدهم بالطاقة المصروفة في إعجاب الآخر وإقناعه بنكهة ذاتية على الأغلب.

إن الجذّاب الحقيقي: هو إنسان لا يأخذ نفسه على محمل الجدّ في كل وقت. إنه يتصرف أحياناً كما لو أنه يلعب. وإذا أحب مثلاً فهو يحلم بأن يحبه الطرف الآخر ولا يطلب منه ذلك. وإذا تعرض لمقلب فحلمه أن يعرف لماذا وأن يفهم ويداري لو علم من يثيره بحنكة فطرية شاعرية مسالمة.

الجاذبية ضرب من الفن: أن تتسلّم الواقع لتضع عليه لمساتك وتلبسه من خيالك حتى ترضى به وتقوى به كما يفعل "النجوم" في أيامنا.

إنهم يضعون أنفسهم في أحلام يبتكرونها لأنفسهم وبسحر الجاذبية ينتزعون على الأغلب إعجاب الآخر واعترافه بنجوميتهم!

ولكن نجومية كهذه تولد ميّتة عندما يكون المسحور هو من صنعها وقرر سحبها منك لنفسه في التباعد زمناً.

تذوي النجومية هذه لأنها مجردة من مقومات حياتها في أن تحيا بدفعها الذاتي.. بقوة جاذبيتها الباطنية وليس بما يُركّبُ لها من أضواء فوق جموعها.

وإذا كانت الجاذبية فناً فإن الشخص الجذاب فنان بطبيعته يمكنه أن يضفي على نفسه جمالاً بتعابير من هناء النفس لا تكلف شيئاً.

ومن بعض الجذابين والجذابات أناس يعتدّون بفنهم هذا بشكل نرجسي ينسيهم العالم كله على حدود أجسادهم..

أما ما يشاع عن دور للجنس في الجاذبية فهو باعتقادي عابر جداً وينحصر في حدود تفكير المحبيّن في سرير الحب، ولا يشكل الجنس بداية للجاذبية بالضرورة ولا الوسيلة للتعبير عنا.

الجاذبية الحقيقية هي أعلى من مستوى السرير وأعمق في فراشه.. إنها "لا جنسية".

ولكن ماذا لو كان للجسد في أذهان البعض من النساء على الخصوص أهمية ترتبط بالجذابية هذه؟

ثم ماذا لو كان جسد بعضهن لا يرضيهن بالدرجة الأولى؟

كيف يمكن مقاومة "القبح" في الجسد وتجاوزه؟

وكيف يمكن التعامل مع آثار الزمن في الجسد عامة؟

تساؤلات لا يمكن إغفالها في موضوع من هذا العيار "كالجاذبية".

٣- انعدام الحظوة:

ما يقابل الجمال- الشكل ليس قبحاً وأميل إلى تسميته بانعدام الحظوة، وأتساءل كيف يمكن لعديم الحظوة بلوغ درجة الإعجاب وهو مجرد من رصيد "مُطمئن" كالجمال؟

إذا سلمنا بأن القبح لا يقابل الجمال فهو ليس بعائق إذن نحو الإعجاب لو توفرت طاقات الجاذبية.

والحقيقة أنه لا مكان للقبح في وجه تطفح فيه الأسارير وعيون تلتمع بالتعابير.

للجمال تأثير النظرة الأولى بلا شك ولكنه لا يكفي ولا يدوم إذا لم يقترن بالجاذبية، فالفم الجميل هو في الابتسامة الجميلة والأعين الجذّابة هي في النظرات الرقيقة الملتمعة.

لست أنكر على المظهر الفيزيائي دوره في الجاذبية ولكنني أضعه في مكانه الحقيقي وهو ليس العامل الرئيسي في الجاذبية. وهذا لا يمنع بالطبع أياً كان من البحث عن أفضل السبل لبلوغ جمال فيزيائي أفضل، ولكن ذلك لا يمكن أن يشكل هدفاً بحد ذاته يؤدي بصاحبه إلى الاعتقاد بأنه السبيل الوحيد لبلوغ الجاذبية.

عندما يكون هناك قبح بيّن يلجأ بعض الأشخاص إلى الجراحة التجميلية وهذا ما يمكن تفهمه تماماً وحري تسميته بالجراحة الترميمية البنائية.

الجراحة الترميمية هذه هي عادية جداً في أيامنا ويمتلك الأطباء الأخصائيون الوسائل لذلك.

ولكن في النهاية تبقى للجاذبية الحيوية الأولوية في المقاربة الجمالية لأنها تنبع من الداخل لتطفو على وجه صاحبها إشراقاً ولا علاقة لتجاعيد الوجه عندها في دحر الإعجاب والانجذاب.

٤- أُفول الحظوة:

ولكن ماذا عن آثار العمر من تعب وشيخوخة؟

إنها مظهر من مظاهر ما أسميه أُفول الحظوة ولا يسلم منه أحد..

فهل شيخوخة الإنسان غورٌ لجماله؟

وهل نهاية الجذّابين والجذّابات في شيخوختهم؟

لقد سمح التقدم العلمي والتكنولوجي اليوم بتأخير هرم بعض الأنسجة أو إعادة رونق بعض المناطق التوبوغرافية منها ويوجد أيضاً أغذية مكملة مضادة للترهل ومستحضرات ومعالجات هورمونية.

ولكن كل هذا ليس بكافٍ لأن الأمر أعمق من ذلك فهو باطني غير مرئي وكيف لعملية جراحية تجميلية أن تنجح في الوقت الذي مازالت فيه صاحبة الشأن مثلاً تشعر بوطأة الزمن وتعيش في داخلها آثارها؟

لابد من إعادة الثقة إلى النفس أولاً وامتلاك جرأة قبول الذات في كل حالاتها وفضّ التعلق بأحلام الشباب الدائم بالعمل على الهروب من العمر في كل مرة.

الباحثون عن الاستدامة البيولوجية لأجسادهم هم عادة أناس واهمون والجمال ليس في عين من يراه في مرآته بل ما يدور في دماغه، يحس به ولا يراه.

قبل تحديد صورتنا الجمالية التي نحبها للإعجاب لننظر جيداً وعن قرب إلى ذواتنا بالعمق.

الجمال والشباب ليسا بالضرورة عمادا الإعجاب والجاذبية. ولكن هذا لا يعني قبول ما يزعجنا في أجسادنا بخنوع، من الطبيعي أن نحاول جعل أنفسنا أفضل..أجمل، بل من الطبيعي التفكير بجراحة "تجميلية" عندما يكون هنالك "قبح" واضح أو تشوه كالأنف البارز جداً والبطن المترهل الهابط والأثداء الضخمة لئلا تعيق التنفس وبعض حالات الصلع المرضي..

ولكن كل هذا لا يؤدي إلى الجاذبية لأن الجاذبية نبض باطني يُكتسب من قبل الشخص نفسه ولا يمكن للجراحة التجميلية وغيرها أن تعمل على إقلاع ذلك النبض.

الجاذبية تفوق جمال الجسد كله وهي لا علاقة لها بالجنس، وهي أقوى من المحاولات الكمالية. الجاذبية لا تُصنَّع لا تُقاوم.

الفصل الثالث

الجهاز الطرفي: دماغ القدرة على الجاذبية

إنني أتقرب منك
بُهدبٍ بل هدبين
مسافة العقل الدابرِ عن القلب الساهر
ما بين حوف الليل وأطراف النهار
أتقرب منك
قرب مصب النهر قبل البحر
لا تسلني مذ متى
ربّما إبان لفظك هيدروجيناً لافحاً
ربما أثناء ربط الفحم فيك مكافحاً
أتقرب منك
مثل جزيئات الماء المتبخر في الهواء
مثل جزيئات الماء المجمّد في إناء
أتقرب منك
قرب الروح من الأجساد المتعبة
قرب الأمان من النفوس المتعبة
ويا لحظي في التقرب منك
والقرب من بعدك

(للمؤلف)

١ـ الدماغ والجاذبية:

إن الجاذبية لا تنشأ عن المنعكسات ولا هي وليدة ذكاء العقلانية ومع ذلك فهي على علاقة أكيدة بالدماغ.. كيف؟

دعونا نتعرض أولاً لبنية الدماغ بشكل مبسّط من القاعدة إلى ما فوقها.

لقد تطور دماغ الإنسان تاريخياً إلى ثلاثة أدمغة في واحد.

- الدماغ الأول: وهو الأقدم كان بمثابة نقطة الانطلاق من المحطة، يطلق عليه اسم الجهاز العصبي الإعاشي وهو ما تبقى من الدماغ البدائي ويحتل قاعدة مجمَّع الأدمغة الثلاثة.

- الدماغ الثاني: وهو ما يدعى الجهاز الطرفي ويحتل وضعية مركزية بين الدماغ البدائي السابق والقشرة الدماغية أو المخية، وقد تطور جزئياً ولا نعرف الكثير عنه.

- الدماغ الثالث: وهو الأحدث ويدعى بالقشرة الدماغية، إنها دماغ الوعي التحليلي ومركز ما يسمى بالذكاء العقلاني.

هذه الأدمغة الثلاثة تشكل كلاًّ واحداً تشريحياً ولكنّ الوظائف التي تقوم بها متباينة ودقيقة للغاية ولكنها متكاملة بدرجات متفاوتة.

وبما أن القشرة الدماغية أو دماغ الذكاء ليست مكان تموضع الجاذبية فقد استنتج بعض المختصين أنها ترجع بالضرورة إلى ما هو الأقدم، في دماغنا الفطري ولكن هذا الأخير لا يتحكم إلا بالمنعكسات ولا صلة له بالجاذبية..

توصل العلماء بعد دراسات مستفيضة إلى اعتبار البنية الوسطية من الدماغ ما بين دماغ الذكاء والدماغ الفطري أي ما بين القشرة الدماغية وما يسمى الجهاز العصبي الإعاشي تشكل ما عُرف فيما بعد (منذ ما يزيد على نصف قرن فقط) بالجهاز الطرفي ويكون بمثابة مركز التقاء الوعي بحالات الملذات والانبساط فهو على صلة وثيقة بالقشرة الدماغية من جهة وغدة تحت المهاد أو (الوطاء) من جهة

أخرى* ويعمل على الإيذان بالتحرر الهورموني المرافق للحالات الشعورية أو التصدي له.

ولكن ما علاقة الفيض الهورموني بالحالات الشعورية؟

من المعروف تجريبياً أن حقن المواد الكيميائية يثير تصرفات معينة.

إن جرعة متناهية في الصغر من ببتيد اللوليبيرين على سبيل المثال تثير لدى الفأر تصرفات غرامية مدهشة.

هذه المركبات لها تأثير على حالات أخرى كالجوع والرغبة والحب في حين تعمل مركبات أخرى على تثبيط حالات كهذه.

ماذا نستنتج من ملاحظة كهذه؟

---

* من وظائف غدة تحت المهاد (أو تحت الوطاء)
* ضبط الوظائف الإعاشية:
- نظم الإيقاع القلبي الوعائي
- نظم حرارة الجسم
- نظم التوازن المائي أي ضبط آليات العطش والتبول
- نظم تقلصات الرحم والإفرازات الحليبية عند المرأة
- نظم عمليات الهضم والتغذية أي ضبط الشهية (جوع/ شبع)
- إفراز بعض الهورمونات ذات العلاقة بالغدة الدرقية وغدة الكظر والغدد الجنسية والغدد الثديية.
* الوظائف السلوكية:
- ضبط حالات الغضب وردود الفعل العنيفة
- ضبط ردود الفعل تجاه الخوف والعقاب
- تنشيط النوازع الجنسية
- ضبط الحالات المزاجية من انجذاب أو نفور ومن شعور بالرضا أو الحنق والإحباط
- تنشيط مراكز المكافأة بهدف التهدئة والتهيئة للطاعة والخنوع
* دور غدة تحت المهاد وبنيات الجهاز الطرفي الأخرى في النوم واليقظة والانتباه والإثارة أي ضبط الحذر والتأهب

مما لا شـــك فيه أن الجاذبية تترافق بإفرازات يســـميها المختصـــون النواقل العصبية وقد أدت الأبحاث المجراة على هذه الأخيرة إلى اكتشافات سمحت بمعرفة كيفية عمل الدماغ وتأثيره على الفكر والسلوكية.

النواقل العصبية هي عبارة عن مواد كيميائية تنتشر في العصبونات لتتأثر بها كافة العضوية في جزء من الألف من الثانية.

لهذه النواقل العصبية دور مزدوج فهي من جهة تنشّط الحركية الإرادية فتعمل على تناغم حركاتنا وتعطي للصـــوت عمقاً وســـحراً ومن جهة أخرى فهي تنشـــط الجهاز الغدّي ليفرز الهورمونات المتعلقة بحالة الجاذبية أي التي تمس الحالات الشعورية والمزاجية.

وفي المقابل هناك نواقل عصـــبية تعمل على تثبيط تلك الحركات ولجم ما من شأنه إثارة حالات شعورية عاطفية.

شـــبكة هائلة من المســـارات الحيوية الكيميائية "الكهربائية" تحمل المشـــاعر وتنقل الأفكار، ترفد الذاكرة والذكاء وتعمل على الإبداع وطيب المزاج.

التعبير عن الجاذبية يستند إذن إلى قاعدة كيميائية حيوية

يوجد عشـــرات الآلاف من البروتينات في دماغنا وتعتبر العاملات الرئيســـية في المادة الرمادية لأنها تؤمن الوصل ما بين الخلايا العصبية مما يسمح بوصول النواقل العصبية إلى المشابك العصبية. نصف البروتينات المعبر عنها في جسمنا يتم التعرف عليه في دماغنا ولا يقل عن ١٢٠٠٠ منها على علاقة بأمراض عصبية. إلا أن كل خلية عصبية في دماغنا مختلفة عن جارتها وهي لا تعبر بالتالي عن البروتينات نفسها ومن هنا جاءت الصعوبة في فهم ما يجري بدقة.

تســـاهم عدة مراكز من دماغنا في هذه العملية كالفص الأيمن من القشـــرة الدماغية والجهاز الطرفي الذي يلعب دوراً رئيسياً لأنه هو الذي يقود عملية تنشيط الإفرازات عبر النواقل العصبية.

يمكن وصف هذا الجهاز الطرفي بالدماغ العاطفي وقد عمد بعض الاخصائيين إلى تشريحه والتثبت من دوره في الآليات المؤدية إلى الجاذبية.

هل تصرفاتنا محكومة إذن بسلسلة طويلة من التفاعلات الكيميائية؟

إن الأمر أشد تعقيداً.

ولابد من طرح الأسئلة على أنفسنا قبل كل شيء:

ما هي العلاقة ما بين الجهاز الطرفي والقشرة الدماغية؟

ومع الدماغ الإعاشي الأقدم؟

وكيف تتم عمليات التنسيق فيما بينها؟

لذلك لابد من التعرف على الأدمغة الثلاثة هذه أولاً: كيف تبدو وكيف تقوم بمهامها.

٢- ثلاثة أدمغة في واحد:

على الرغم من أن الأدمغة الثلاثة متشابكة بقوة في بنيتها إلا أنها مستقلة في وظائفها ومن الثابت أن الواحد منها يمكنه العمل بصورة مستقلة.

آ- الجهاز العصبي الإعاشي:

وهو الدماغ الأولي في بدايات الإنسان والذي سمح له فيما بعد التكيف في بيئته والحفاظ على بقائه ولعب دوراً أساسياً في استمرار الجنس البشري.

لقد سمح هذا الدماغ بتطور ردود فعل الخوف وحسّن من أدائه في إفراز مواد كالأدرينالين التي تسرع النبض وتسمح بالجري بسرعة.

إنه دماغ الحركة والمنعكسات ودماغ شخصيتنا الفطرية اللاواعية.

يعمل هذا الدماغ على تنظيم ضربات القلب بصورة آلية ويقوم بالوظائف الفيزيولوجية وينسق فيما بينها ويؤمن للعضوية توازنها في وسطها المتغير.

وفي بعض الحالات قد يحرض هذا الدماغ على القيام بتصرفات حيوانية صرفة تتجلى بارتفاع مفاجئ للأدرينالين في المواقف المثيرة وغير المتوقعة وغير المقبولة

اجتماعياً كما يحصل في بعض الحوادث اليومية المتفرقة مثل مشاجرة فجائية بين سـائقين يتزاحمان على مكان واحد للوقوف وهو تصـرف خارج عن تأثير القشـرة الدماغية تماماً لأن من مهام هذه الأخيرة العمل على ضـبط التصـرفات الاجتماعية أي السلوكية.

هذه المشـاجرة تعود بنا إلى الحالة الحيوانية لأن التنافس شـرس وعلى أشـده لاحتلال المكان.. كما يحدث في حياة عالم الحيوان!

ب- القشرة الدماغية أو دماغ العقل والذكاء:

القشرة الدماغية أو المادة الرمادية هي دماغ العقل والتحليل، وهي التي تعطي فصي الدماغ الأيمن والأيسر.

يعتبر هذا الدماغ الأكثر اتسـاعاً وتطوراً ولا علاقة لهذا الاتسـاع والتطور بنوعية ذكاء حامله كما شيع لبعض الوقت.

القشرة الدماغية هي مركز شبكة الاتصالات الشعورية والحركية كذلك وهي مسـؤولة عن كل الحركات الإرادية وتسـتقبل العالم المحيط عبر حواس الرؤيا والسمع والشم والذوق واللمس.

تبعث أعضاء الحواس هذه برسائلها عبر خلايا عصبية في القشرة الدماغية مثيرةً سـلسـلة من التفاعلات الكيميائية والحسـيّة محكومة على الدوام بالقشـرة الدماغية.

تُسـتقبل هذه الرسـائل في مسـتوى المادة الرمادية مركز التفكير الاسـتنتاجي حيث يجري تحليلها قبل الإيعاز ببدء فعل معيّن أو حركة معينة أو نطق عبارة أو كرّ خطاب من خطابات هذا العصر..

القشـرة الدماغية باختصـار هي مركز الفكر والتفكير والذكاء ومن المعروف أن الفصّ الأيسر منها يشكل مركز المنطق والتحليل والتصويب والأيمن هو مركز تنسيق المقاربات الفكرية الحدسية والفنية والشعرية ويعتبر هذا الأخير على صلة حميمية بالجهاز الطرفي عبر مشابك عصبية عديدة.

إن تطور القشرة الدماغية هذه سمح تدريجياً بصقل الشخصية الواعية الإرادية في بيئتها الطبيعية والاجتماعية. الفص الأيســـر هو أســـاس بناء وتطور حياتنا في المجتمع وهو مســـؤول إلى حد كبير عن تطور الفكر العقلاني مصـــدر القوانين والعلوم والفلسفة والتربية.

الفص الأيســـر فاق في تطوره الفص الأيمن وفاق كذلك الدماغين الأخريين الدماغ الإعاشـــي والجهاز الطرفي دماغ الجاذبية حتى أن تطوره هذا قد طغى إلى حد ما على نشـــاط هذا الأخير والذي أميل إلى التعبير عنه بدماغ القدرة على الجاذبية.

ج- الجهاز الطرفي (أو جهاز ما تحت القشرة الدماغية):

لابد في البداية من إعطاء نظرة فيزيولوجية حول موضـــوع الجهاز الطرفي (أو دماغ القدرة على الجاذبية)

إن تعبير طرفي (أو حَوْفي) تعني في هذه الحالة "حدود" وذلك لأن الجهاز الطرفي كان قد أُعتبر في البداية نقطة العبور ما بين غدة تحت المهاد (والبنى المحيطة بها) من جهة والقشرة الدماغية من جهة أخرى.

ولكن تبيّن فيما بعد أن غدة تحت المهاد والفص الأيمن للقشـــرة الدماغية يعملان سوية على ضبط التصـرفات العاطفية التأثرية الفطرية، ويهيأن لحالة من التوازن والاستقرار الحيوي في العضـوية عن طريق نظم الوظائف الإعاشـية من حرارة وتبادلية حلولية لســـوائل الجســـم والإحاطة بفيزيولوجيا الجوع والعطش وضبط الوزن..

تتصـــف بنية هذا الجهاز تشـــريحياً بتشـــابكاتها المحيطة بغدة تحت المهاد (أو تحت الوطاء) على الرغم من ميل بعض الأخصائيين إلى تمييز هذه الأخيرة عنها.

إن بنية هذا الجهاز تكسبه من الناحية الفيزيولوجية أهمية خاصـــة لأنها تُظهر غدة تحت المهاد (تشـــريحياً) محاطة ببنيات تحت القشـــرة الدماغية والتي تظهر بدورها محاطة بحلقة نسيجية من القشرة الدماغية نفسها:

تحيط بالوجه الأوسط البطني لكل فص دماغي حلقة تحت قشرية تتصل بمجموعة من التفرعات الممتدة عمقاً في البنى المحيطة وتكون على صلة وثيقة بالسلوكيات العاطفية.

تمثل هذه الحلقة تحت القشرية إذن صلة وصل تجمع في الاتجاهين ما أُطلق عليه اسم القشرة الدماغية الجديدة والبنيات الطرفية تحت القشرية.

ومن المهم أيضاً أن نعلم أن الوظائف السلوكية التي تخص غدة تحت المهاد وبنيات طرفية أخرى هي على علاقة بشبكة الجذع الدماغي المعروفة بوظيفتها في الإثارة. وبذلك تعتبر شبكة الجذع الدماغي وظيفياً جزءاً أساسياً من بنية الجهاز الطرفي على الرغم من كونها متمايزة عنها تشريحياً. وهكذا تبدو لنا بنية الجهاز الطرفي وكأنها شبكة اتصالات على تخوم كلٍ من غدة تحت المهاد والقشرة الدماغية والبنية القاعدية للدماغ أي أنها وظيفياً تعمل في اتجاهين تؤثر في البنيات المحيطة وتتأثر بها، وبذلك تنفرد بوظيفة مركزية تعمل على تناغم الحالة الباطنية.

تُظهر البنية التشريحية المقطعية والطبقية للدماغ بأقسامه المتشابكة أن غدة تحت المهاد هي حقيقة في مركز الجهاز الطرفي وتتصل بكل بنياتها وتمتد تفرعات لها حتى الجذع الدماغي (من الناحية السفلية) وفصّي القشرة الدماغية (في الناحية العلوية).

وبذلك تبدو غدة تحت المهاد وكأنها معبر الجهاز الطرفي إلى كل من القشرة الدماغية والجهاز الدماغي الإعاشي: نقطة وصل ما بين السلوكية الفطرية والسلوكية الاجتماعية، ما بين الحالة التأثرية وضوابطها العقلانية، ما بين تنفس الحرية.. أو نشدها والبحث عن أجوائها.

بعض الوظائف النوعية لأقسام الجهاز الطرفي:

- تباطؤ أو تسارع ضربات القلب.
- تباطؤ أو تسارع إفرازات المخاطيات الهضمية.
- توسع حدقة العين.

- إفراز الحاثات الجنسية.
- إيقاظ حاسة الشم والتذوّق.
- تنشيط سلوكيات اللذة.

تتلخص وظائف الجهاز الطرفي في ضبط السلوكيات وبقدر المعلومات المتوفرة نعتبر أن الجهاز الطرفي يحتل وضعية "توبوغرافية" مشتركة ما بين تحت القشرة الدماغية وغدة تحت المهاد المتصلة بالدماغ الإعاشي.

وعليه فإن وظائف هذا الجهاز متداخلة أيضاً ما بين كل من وظائف القشرة الدماغية ووظائف الجهاز الإعاشي، وأن مهمة هذا الجهاز إذن هي العمل على تحقيق التناغم ما بين دماغ العقل ودماغ الفطرة.

تمرّ بنا في حياتنا حالات قد يصعب تفسيرها كأن نستفيق ونحن في حالة كبيرة من الرضا، يبدو لنا العالم جميلاً، تخف خطانا، تتناغم حركاتنا بدقة، يهدأ صوتنا ويشرق وجهنا..

نشعر بحضور سمفونية داخلية بديعة وكأنما يقودها ما يسترو في الخفاء لا يضاهى.

هذه الحالة تصبغنا بقدرة على الجاذبية بشكل طبيعي وبعيداً عن أية مؤثرات محيطة، إنها حالة باطنية.

إننا في هذه الحالة نكون مباشرة تحت تأثير الجهاز الطرفي والذي بعلاقته الجوارية الوثيقة مع الفصّ الأيمن للدماغ يعمل على تجسيد هذه الحالة الداخلية وهي حالة مريحة جداً ولكنها غير مفهومة تماماً.

للجهاز الطرفي دور مُفعّل بلا شك لمثل هذه الحالة لأنه يحرر المواد الكيميائية التي من شأنها ضبط مثل هذه الحالات.

لذلك فإنني أميل إلى الاعتقاد بأنه مركز القدرة على الجاذبية.

الجهاز الطرفي هو بتعبير آخر مركز الظرافة وطيب الخواطر، يعمل على تناغم القنوات الحسية الحركية في القشرة الدماغية بتلطيف كل حركة من حركاتنا.

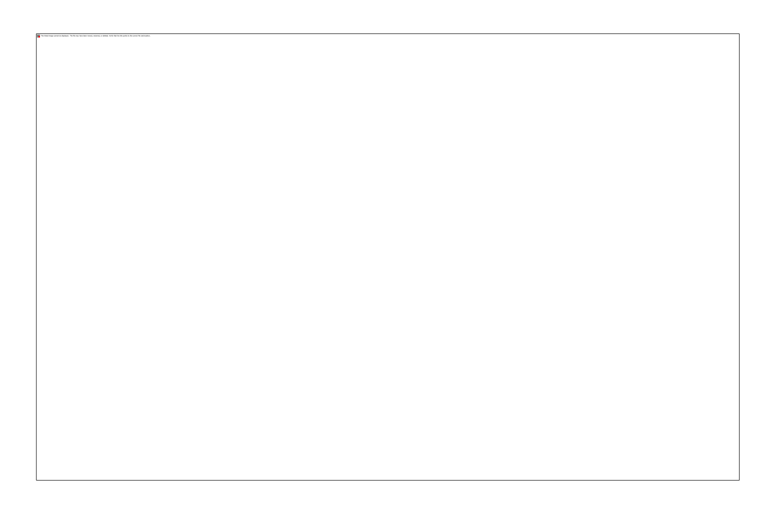
ترى ما هي بنية هذا الجهاز وكيف يعمل؟

٣- دماغ القدرة على الجاذبية:

يحتل الجهاز الطرفي منطقة في دماغنا الإنساني على علاقة وثيقة بالقشرة الدماغية بفصّها الأيمن وله مهمة المظاهر العاطفية في حياتنا وهو مسؤول كذلك عن العديد من الوظائف المعرفية الشعورية.

يشبه الجهاز الطرفي في بنيته دائرة تحيط بها القشرة الدماغية وفي مركزها المنطقة الوسطى من الدماغ الإعاشي المتصل بغدة تحت المهاد أو تحت الوطاء.

شكل لمقطع دماغي



إن هذه الوضعية "التوبوغرافية" للجهاز الطرفي واتصالاته مع الدماغ الإعاشي من جهة والقشرة الدماغية أو المخيّة من جهة أخرى تؤسس بلا شك لعلاقات ضّيقة ما بين الوظائف النفسية والمظاهر الانفعالية وتجعل منه دماغاً تخزينياً للعواطف.

وتشـــير بعض الآراء إلى أن تعبير "طرفي" هو في أيامنا ما تمثله صـــالة الانتظار أو منطقة الترانزيت ما بين عالمين مختلفين متضـــادين ما بين القشـــرة المخية مركز الذكاء العقلاني من جهة والمخ البدائي الموصوم بردود فعل حيوانية.

يحتوي الجهاز الطرفي هذا أو صـــالة الانتظار هذه على العديد من البنى الوسطية المتموضعة ما بين فصّي الدماغ الأيمن والأيسر وهي بنى قد تكون قشرية سطحية أو ضاربة في العمق.

ويبقى الهدف البرهنة على الدور الهام لهذه المنطقة من الدماغ في المظاهر الشعورية وفي التحكم بفن الجاذبية.

إن هذه المنطقة من الدماغ هي بمثابة أراضٍ قشـرية ظاهرياً ولكن على علاقة أكيدة بالنشـاطات الخصـوصـية بشـخصـيتنا الباطنية نأمل كشـفها في زمن الدفـء القادم..

صالة الانتظار هذه هي المكان المفضل لاستراحة النفس أولاً ولحدوث مجمل الآليات التي تطوف بنا في أجواء تأثرية عاطفية لأن هذه الحالة لا يمكن أن تنشـــأ عن الدماغ الإعاشي الانفعالي ولا عن القشرة الدماغية العقلانية..

كما لو أننا في حالة تحليق فعلية في حيز دارئ.

يقع الجهاز الطرفي إذن ما بين الدماغ المســـمى بالأعلى وهو دماغ الذكاء العقلاني والدماغ ولنقل الأوطأ وهو دماغ الفطرة ويتصـــل بهما عن طريق شـــبكة كثيفة نشطة من الخلايا العصبية والتي تشكل البنية الأساسية للأنا الداخلية.

يشـارك مَنْ في صـالة الانتظار تلك في مداولات القشـرة المخية ودماغ الفطرة ويحتـل مركز التفكير الحدســـي أي أنـا الاقتنـاع الحميمي المســـتقل عن حواجز الصوابية وهو الذي يجعلنا نقول يقينياً "نعم" أو "لا" دون الرجوع إلى أوامر العقل وتعليماته.

ولكن ما هي الآلية العضوية وراء هذه اليقينية ولنقل شبه العفوية؟

لنأخذ مثالاً على ذلك، لقاء رجل بامرأة مرشحين للإعجاب فالانجذاب.

ماذا يحدث في كل منهما؟

- في الزمن الأول من الإعجاب تبعث حواسهما برسائل إلى الأدمغة الثلاثة معاً حيث يُفكُ التشفير عنها.

- في الزمن الثاني من الإعجاب يجري التداول ما بين القشرة المخية العاقلة ودماغ الانبساط في بهو الانتظار..

- في الزمن الثالث يبدأ الفعل. تتحرر الحركات الحسية أو ترتبط بفعل التوتر العضلي ويعمل الجهاز الغدّي على إفراز هورمونات الانجذاب أو النفور عن طريق تنبيه أو تثبيط العضلات الملساء للأعضاء التناسلية.

وكذلك ينضح الجلد بما يسمى الفيرومونات الموجبة أو السالبة بحيث تشدنا إفرازات الآخر أو تنفرنا منه بمعنى آخر أننا عندما نكون بحضور كائن جذّاب فإن أعضاء حواسنا هي المعنية أولاً كالرؤيا وهي بطبيعة الحال هامة لا يمكن التقليل من شأنها ولكن الجمال في هذه الحالة ليس في عين من يراه ولكنه في مخ من يراه والنظرة الجميلة قد لا تكون أمضى تأثيراً من نبرة الصوت أو اختيار الملابس أو خصوصية العطر أو.. لمسة مختلسة.

وهي جميعها وسائل اتصال غير كلامية بمعظمها وتُفضي إلى حالات شعورية في اللاوعي ومن النادر التنبؤ بمن سينجذب الأول أو من سيجذب الآخر بشدة..

تنتقل هذه الرسائل فيما بعد (والأمر كله يجري في الثانية وأجزائها) عبر القشرة المخية لإزالة التشفير عنها أولاً وتحليلها وفي هذه المرحلة لا يحصل ما يمكن اعتباره انجذاباً وهو لا يتعدى كونه انطباعاً.

في هذه الأثناء (ولازلنا في أجزاء الثانية) تبدأ ورشة الأعمال الكيميائية باتجاه دماغ الجاذبية "الجهاز الطرفي".

تضم ورشة العمل هذه ما يفوق /٢٥/ مادة كيميائية منها الأستيل كولين والدوبامين وهو على علاقة أكيدة بالجاذبية ومنها السيروتونين

وحيث أن المخ البشـري يتكون من بلايين الخلايا العصـبية، والخلية العصـبية تختلف عن بقية خلايا الجسم بكثرة ما لها من زوائد معظمها صـغير وقصـير ومن محور عصبي، وهي أكثر الخلايا نشاطاً في اتصالها بالخلايا الأخرى.

يتم نقل الإشـارة العصـبية عبر المشـبك كيميائياً بواسـطة الناقلات العصـبية ومنها السـيروتونين وهو هيدروكسـي تريبتامين -٥ يوجد السـيروتونين في جسـم الإنســان في دمه في الصــفائح الدموية وفي الجهاز الهضــمي حيث ينظم حركة الألياف العضـلية الملسـاء كما يوجد في الجهاز العصـبي بنسـبة ١-٢% من الكمية الموجودة في جسم الإنسان.

هذه النسبة الضئيلة جداً تُصنّع داخل الجهاز العصبي لا سيما في ساق الدماغ أي داخل الخلية العصبية نفسها وذلك لأن مادة السيروتونين ذاتها لا تستطيع عبور الحائل الدموي الدماغي أي أن الســيروتونين الموجود في الدم لا يعبر من الدم إلى الجهاز العصبي. =

=يُعتقد أن للسيروتونين الموجود في الجهاز العصبي دور في الحالة المزاجية للإنســان وفي كيفية إحســاســه وإدراكه للألم وله كذلك علاقة بالســاعة البيولوجية الموجودة داخل كل إنسان أو ما يسمى بالنظم اليومي وكذلك دورة النوم والاستيقاظ والتحكم في الأكل والشـهية وكذلك درجة حرارة الجسم البشـري ونشـاطه الحركي. يحتوي كل غرام من الجســم الصــنوبري (أو الغدة الصــنوبرية) على كمية من السـيروتونين تعادل خمسـين مرة تقريباً ما يحتويه باقي المخ البشـري، كما يحتوي الجسم الصنوبري على كل الأنزيمات المطلوبة لتخليق السيروتونين الذي يستخدمه الجســم الصــنوبري في تصــنيع مادة الميلاتونين (تتم عملية تخليق الســيروتونين اعتباراً من التربتوفان وهو حمض أميني أساسي).

يتعرض كل من الســيروتونين والميلاتونين لتغيرات في مســتوى تركيزهما حسـب النظم اليومي بحيث يكون نشـاط السـيروتونين أعلى ما يكون خلال فترات الصــحو النشـيط والانتباه وأقل ما يكون خلال فترات الصــحو الهادئ ويكاد ينعدم خلال فترات نوم حركة العين السريعة.

بعد مرورها عبر المحور العصبي تُستقبل الإشارة العصبية في مستوى جدار الخلية العصـــبية حيث تنتظرها مســـتقبلات الســـيروتونين وهي متعددة الأنواع والأصناف ومختلفة الوظائف.

في حين يوجد عالم آخر من الاحتمالات البيولوجية داخل الخلية العصـــبية نفسها والتي لا زال العلم يطرق على أبوابها.

ولازلنا عازفين عن استخدام قدراتنا!

والسـيروتونين بشـكل عام هو محطة من محطات اضـطراب القدرات (وليس القدرة) النفسية للإنسان.

يعتبر الســـيروتونين مـايســـترو المزاج بلا منـازع وكـذلـك الانـدورفينـات والأوسيتوسين والفازوبريسين وغيرها.

ثم تحصـــل المداولة، وعلى أثرها فقط يعي الرجل وتعي المرأة أنهما منجذبين حقاً.. أو غير منجذبين، ويحدث ها كله في أجزاء من الثانية.

إنه عمل خارق يتطلب في الزمن الحقيقي مقارعة في اللاوعي ما بين الحدس والصواب، ما بين التأثر والذكاء.

ولو لم يكن هناك مداولة مابين القشـــرة المخية والجهاز الطرفي لتصـــرف الواحد منهما بعفوية تُذكر بعفوية أبناء الريف الاندهاشـــية عندما يحلّون على المدن الكبرى لأول مرة، كل شــيء أمامهم يثير العجب، كل شــيء جميل، يجذبهم لا يقاوم وبذلك تنعدم الجاذبية تماماً.

الجاذبية أرفع شأناً وأصدق من الانبهارية.

إن ظاهرة الجاذبية هذه ليســت حكراً على لقاء رجل بامرأة فهي قد تحدث من خلال لقاء فنان أو خطيب أو رياضــي بجمهوره أو معلم بتلاميذه وأسـتاذ بطلابه أو حتى بائع خضار بزبائنه.

إن الجمال- الشكل لوحده لا يمكنه تشغيل الجهاز الطرفي مهما كان خارقاً لأن الجمال الفيزيائي ظاهرة ثقافية واجتماعية مكتسبة علاقتها بالقشرة المخية.

الجمال لوحده لا يكفي لحدوث الانجذاب إلى الآخر أو القدرة على جذبه باطنياً.

لابد من المداولة (إنه امتحان بحق) ما بين القشرة المخية والجهاز الطرفي في هذا الأمر الحيوي.

المداولة وحدها هي التي تفضـي إلى تحرير قوى الرغبة الكامنة في اللاوعي أيضاً وهو ما يخرج عن ساحات حسابات الوعي بالاستحواذ على رغبة الآخر.

لدينا إذن مركز فيزيولوجي للجاذبية ولأكثر من جزيئة كيميائية ويمكننا التصريح بوجود مراكز للانبساط واللذة في حدود البنية الطرفية.

وما الجاذبية سـوى منتجٌ من فعل تلك النواقل العصـبية كافة ولكن بتراكيز حيوية عيارية لا يمكن تحقيقها تجريبياً أو عن طريق الحقن الهورمونية أو عن طريق العقاقير التي تغزو عالمنا.

فعقار "الفياغرا" زائع الصـيت مثلاً هو جزيئة كيميائية محسـوبة على المنشطات الجنسية لتنشيط العضلات الملساء للأعضاء التناسلية لا يمكنه أن يصل بمن يتناوله إلى مصـاف الرغبة في اللذة في حين تؤدي الحبوب المنوّمة إلى النوم ولكنها لا تمنح الراحة نفسها كما في النوم الطبيعي.

إن حالة الجاذبية لا يمكن أن تحدث بنتيجة تعويم الجسـم ببعض الهورمونات حتى ولو جاءت هذه الأخيرة مرافقة لمقدرتنا على الجاذبية.

لقد أصبحت التفسيرات المعاصرة تتعلق بالتغيرات الكيميائية وربما التركيبية في الأدمغة كافة وهذا ما نطلق عليه في أيامنا اسم كيمياء المخ.

فدماغ الإنسـان مركز يعجّ بالحيوية. تنتقل في داخله شـارات كهربائية مختلفة بسرعة تقارب سرعة الصوت.

لقد أمكن قياس هذه الأمواج الكهربائية الدماغية وهي بحدود عشر الفولت وإن مجموع النشاطات الكهربائية في القشرة الدماغية يعطي ما يسمى في أيامنا تخطيط الدماغ.

تُعبّر هذه النشاطات الكهربائية عن نشاطات فيزيائية كيميائية تتم عبر أغشية الخلايا العصبية وتقوم بهذه النشاطات جزيئات سمّيناها النواقل العصبية* وتعمل في مستوى المشابك العصبية حيث يتم تحويل الإشارة الكيميائية إلى شارة كهربائية في الجزء من الألف من الثانية، وهو الزمن الذي يستغرقه الدماغ في تأدية وظائفه في حين يمتاز الحاسوب على دماغ الإنسان لكونه يقوم بالعملية ذاتها في الجزء من المليون من الثانية!

أي أن الحاسوب في أيامنا هو دماغ بشري مُسرَّع.

يمكن لخلية عصبية واحدة أن تُخلِّق ما بين ٥-٦ نواقل عصبية.

إن هذه الاكتشافات الحديثة تؤدي بنا إلى تساؤل ثقيل في نتائجه:

إلى أي حدٍّ تسهم مثل هذه المواد الكيميائية في نظم كبريات الوظائف في الدماغ؟

وماهو مدى تأثيرها على حالاتنا النفسية والتأثرية؟

دُرست كيمياء الاتصالات هذه ما بين الخلايا العصبية بإسهاب في السنوات الأخيرة. وقد تمحورت الأبحاث حول آلية أداء النواقل العصبية لمهامها في مستوى النهايات العصبية قبل انتقال الشارة كهربائياً إلى الخلية العصبية المجاورة وهي آلية تشبه إلى حد كبير آلية دخول المفاتيح في الأقفال وخروجها منها.

---

* تتجلى أهمية دور مختلف النواقل العصبية الدماغية في نظم السلوكية الطبيعية عند الإنسان لا سيما ضبط الحالات النفسية والانفعالية وضبط ا لمزاج بشكل عام نحو الانبساط.

كما تعمل هذه النواقل العصبية على تنشيط الدماغ درءاً للتعب المثير لحالات مرضية جسدية على خلفية نفسية هي شائعة جداً في أيامنا كالوهن العضلي والتباطؤ أو التسارع في ضربات القلب والقرحة والإمساك والسمنة أو الهزال وغيرها كثير.

يوجد في دماغنا جزيئات يرجع عمرها إلى مليار ســـنة وهي مشـــتقة من بروتينات بكتيرية الأصـــل حافظت على بنيتها في حين تبدلت وظيفتها مما يوحي بوجود وحدة تنظيمية جزيئية خارقة للكائنات الحية.

كما تعمل هذه النواقل العصــبية ضــمن الآليات المؤدية إلى تخزين الشــارات المكوّنة لما يُعرف بالذاكرة.

وهكذا نجد أنفسـنا وقد انتقلنا من الدماغ إلى الخلية العصـبية ومن هذه الأخيرة إلى الجزيئة الناقلة ومنها إلى الذرة فالشـــارة الكهربائية وكأن ما نحياه بالفعل هو حالة كهربائية صرفة.

إن دماغ الإنسـان بخلاياه المليارية(١) مجموعة بنائية منظمة: تتصـل الخلايا العصبية فيما بينها وفق مخطط محدد ويستمر تصنيع مشابك عصبية جديدة طيلة زمن حياة الواحد منا لاســيما بين المشـــابك المتجاورة والتي تتميز بقدرتها على التحول والتبدّل على إيقاع احتياجات الدماغ نفســه وبحســب وتيرة تدفق الســيالة الكهربائية في المسالك العصبية.

إن مرونة أو مطواعية المشابك العصبية لا تسمح بتقليص أو توسيع مساحة التماس مع الخلايا العصــبية فحســب بل تُســهم في إيجاد اتصـــالات جديدة وهذا ما يمكن حدوثه جلياً في بعض الإصـابات المرضـية أو الطارئة أو للتكيف مع شـروط بيئية معينة.

تتلقى الخلية العصبية عشرات الآلاف من الاتصالات عبر المشابك العصبية ومهمتها الرئيسية تنحصر في القيام بالجمع الجبري لعمليات التنبيه والتثبيط.

وعليه يبدو الدماغ في عمل خلاياه ومشـابكها كالنَّوْل الضـوئي الحائك الناسـج الذي لا يتوقف (مع الحياة) ولا يثبت على لُحمةٍ أو موديل معين.

---

(١)يوجد في جســم الإنســان حوالي مئة مليار خلية عصــبية، وهي غير قابلة للتجديد باســتثناء بعض الخلايا المسؤولة عن الشمّ.

إن الخاصـــية الأهم للدماغ هي تعددية مســـتويات التنظيم فيه والتي تمتد وفق بعدين فراغي وزمني.

تُنجز العمليات الدماغية وفق أزمان متفاوتة متباعدة: في زمن يقل عن الجزء من الألف من الثانية تتم التناقلات الجزيئية ما بين النواقل العصـــبية المرســـلة والمستقبلة.

وفي زمن بضـــع الأجزاء من الألف من الثانية يتحرر كمون غشـــاء الخلية العصـــبية والذي يتأثر بحركة شـــوارد $Ca^{++}, Cl^{-}, Na^{+}\ k^{+}$ والتي من شـــأنها توليد تبدلات في كمون غشـــاء الخلية العصـــبية الذي يفضـــي بدوره إلى تبدل آني للحقل الكهرمغنطيســـي في الموضـع لتنتشـر منه عبر أنسـجة الجسـم كافة سـيالة بسـرعة الضـوء ومن قياس عدة ميكروفولطات بينما الحقل المغناطيســي الأرضــي يقل عنه بمئة مليار مرة!

أما زمن بضع مئات من الألف من الثانية فيخص ديناميكية الشبكات عن بعد.

ويبقى زمن بضـــع الدقائق إلى بضـــع الســـنين خاصـــاً لاكتســـاب المهارات الإدراكية كاللغة والذاكرة.

٤ـ الجاذبية لغة تواصل كونية:

منذ اللحظة الأولى التي يطل برأسه على العالم بعد انتصاره في معركة الحياة والموت، وبعد أن تغزو أول جرعة هوائية أرضـــية رئتيه العذراوين، هدف الوليد الضيف واحد وهو جذب محيطه ليطمئن على وجوده فينا وبين ظهرانينا.

ولكنه بحاجة قبل كل شيء إلى قطعة قماش تلتف حول جسده الغض الصغير، وقليل من الحليب لتسكين نقّ الضفادع في جوفه.

وهو بحاجة ماســـة إلى عبارات لطيفة للترحيب بقدومه كل يوم في عالم الأحياء.

وما إن يحصـل الوليد على ما كان يريد حتى تنفتح أسـاريره شـكوراً بابتسـامة عريضة تملأ ثغر وجهه.

وإذا ما قابلت الأم أو من يحل مكانها لهذه المهمة تلك الابتسامة بتعبير يدل على تلقي الرسالة بحبور فإن رجل المستقبل هذا أو سيدة المستقبل هذه يكونا قد اكتسبا سلاحهما الأول في الجاذبية: الابتسامة.

وفي مرحلة لاحقة يبدأ الكائن الجديد بحب واحترام جسده أولاً ومن ثم يبحث عن إقامة صلة تبادلية غنية مع أقرانه لتثمين جاذبيته النبيلة طيلة سفره الوجودي المحفوف بالمتقلبات.

وعليه فإن صلتنا بالجاذبية هي صلتنا الأولى بالعالم من حولنا، وهي من ذخائر الصغار قبل الكبار وليتعلم كبار القوم ممن فاتهم ذلك.. من صغارهم!

الابتسامة التي تثير الابتسامة هي السلاح الأمضى للجاذبية في دحر الأنانية والغيرة والشمولية وما إلى ذلك وطرح صنوف الديماغوجية ضَرَّة الجاذبية.

لا يمكن للجاذبية أن تعيش بالانعزال عن العالم.. وبدون مقدرة على الحب والتصور وبعض البراعة أيضاًَ، لأن الجاذبية تعمل بلا شباك فهي مهارة بمثابة الموهبة.

لغة الأجهزة الطرفية أو صالات الترانزيت عالمية كما في الموسيقى المسماة كلاسيكية وهي عالمية بالفعل.

فالحب على سبيل المثال الشائع يتجاوز الزمن الذي نعيش فيه وهو قادر على العصف بنا في سن الخامسة عشرة كما في الخامسة والتسعين..

وهو لا يخضع لعقل ولا يعترف بحدود سواء كنا على سفر في الصين، في أفريقيا، في أوروبا أو في القطب الشمالي.

وتبقى آلية الجاذبية من الناحية العضوية الكيميائية نفسها وتقف أمام كل الاختلافات الثقافية والعرقية والطبقية والبيئية وغيرها..

إنها لغة الإعجاب الكهربائي ولكن الحيوي.

عندما تتصل دارات الأجهزة الطرفية فيما بينها فهي لا تعرف الكذب فيما بينها ولا تعرف الغش كذلك لأنها حقيقية.

إنها تعمل في غياب الحســـابات وغفلة الأعراف وبعيداً عن إجراءات المنع والرقابة.

تساعدنا في التعبير عن شخصيتنا بطريقة أكثر مصداقية وأكثر رهافة وأكثر عفوية وربما أكثر ضـحكاً لأن الضـحك هو من اختصـاص تلك الدارات، لا تعرفه القشــرة المخية ولا دماغ المنعكســات الفطرية، الضــحك حركة قفز حرّ في هواء الآخر.

فأمّنا حواء كانت تعيش قبل أن تقضـم في التفاحة بلا موانع وبلا مثبطات وبلا خوف وبلا حياء.. لقد كانت تعيش عارية جسدياً ورمزياً.

لقد كانت حواء قبل أن تقضــم في التفاحة تحت تأثير جهازها الطرفي منفرداً، مغرمة، ولهانة.. رومانسية، ولكن حواء كانت قد حُذِّرت من قبل بعدم قضم التفاحة "الطُعم" المهداة من ذلك الثعبان الساحر.

لقد كانت التفاحة تمثل المعرفة: معرفة الخير ومعرفة الشر ومعرفة المحظور والممنوع. لقد كانت التفاحة بمثابة ضـــمير الوجود في العالم منفصـــلاً عن ذاته بالفكر، بالتحليل والحســـاب ومنفصـــلاً عن الذات بواســـطة الآخرين وعن طريق التربية والثقافة وهي من وظائف القشرة المخية حصراً. ومع ذلك فقد قضمت حواء في التفاحة وكان أن قبلت في نفس الوقت نهاية براءتها، لتتعرض على أثرها هي وشريكها آدم المغرر به للطرد من الجنة...

وسواء كانت هذه الحدوثة دينية، فلسفية أم تشريحية أو ربما كل هذا..

فإن هذه الحدوثة الحادثة ما زالت تحدث، وهي رهن بإرادتنا في أن نقضـم في التفاحة أو نعود إلى الحياة في الجنة بفارق بســـيط وهو أنه بإمكاننا الآن اختيار الزمان والمكان والكيفية بكل مسـؤولية إنسـانية. وإذا كانت الجاذبية قد أضـحت من الضــرورات الاجتماعية بل الشــخصــية في هذا القرن وبإلحاح، وإذا عرفنا آليات فعلها فما الذي يمنعنا من اعتمادها وتطويرها بذكائنا إرادياً؟

الإمكانيات متوفرة فينا.. ولكن هذه الجاذبية "الطبيعية" المطوَّرة سوف تتعرض للأسف إلى التثبيط من قبل القشرة المخيّة مخافة ذلك القادم المجهول المتمثل في الإعجاب.

ولكن لماذا هذا الخوف؟ وما هو مصدره؟

إن حزمة الممنوعات من ثقافية وتربوية وفكرية تحاول عادة الوصول إلى رفض الأنا الجاذبي بحكم عدم اللياقة أو الخجل أو الخروج عن المألوف وما إلى ذلك.

ولكنني على الرغم من كل هذه المحاولات فإنني أشتمُّ بداية عصر نهاية الحكم المتسلط للقشرة الدماغية.

ما هو مؤكد هو أننا نملك جميعاً القدرة على الجاذبية ونملك جميعاً جهازاً طرفياً رهن إرادتنا على الأغلب.

كيف يمكن تنشيط هذا الجهاز الطرفي؟

وكيف نثير في أنفسنا الثقة والجرأة والتناغم؟

وممَّ تنشأ الومضة البدئية التي تحرر القدرة على الجاذبية؟

٥- كيف يتحرر دماغ الجاذبية:

الجاذبية الموهبة والجاذبية المكتسبة

كيف نستخرج الجاذبية عندما تكون كامنة في أعماق الذات؟

وكيف نكتسبها من على السطح في ساحات الآخرين؟

يحلم الطفل حياته ويتصور نفسه في مركز العالم ولديه استراتيجيات لجذب هذا العالم إليه بهدف تفهمّه وطرد شبح الخوف عنه.

وتعمل التربية المدرسية في الأساس على تدعيم دور القشرة المخيّة عنده فيردُّ أحياناً على ذلك بغضب وحزن بصورة غير متوقعة ولكنه قد يستعمل الذكاء والمرونة في ذلك كما أنه قد يستنجد بالجاذبية في النهاية عند اللزوم...

إنه يعي ذلك كله بالفطرة.

جاذبية الطفل هذه هي في عداد الموهبة يجب رعايتها وتنميتها والحفاظ عليها.

ولكن هناك الجاذبية التفاعلية أيضـــاً التي تنشــط بوجود شــخص نحبه، نعجبه لمجرد كلمة رقيقة منه أو ابتسامة أو باقة ورد يعبق بها نهارنا.

هذه الجاذبية التفاعلية يمكن أن تضـــفي علينا جمالاً لم نألفه، رونقاً إضـــافياً.. هدية يصادق عليها جهازنا الطرفي.

هذه الجاذبية التفاعلية هي من قبيل الأحلام العابرة تنخفض حرارتها بغياب طيف الحلم عن ذاكرتنا.. وأفول ذلك المُفعِّل عن ساحات نهارنا.

ولكن أليس بوسعنا إدامة هذه الجاذبية التفاعلية أكثر حتى في غياب من فعَّلها؟

٦- الجاذبية المكتسبة والجاذبية الحقيقية:

إننا نخضـــع في حياتنا لتأثير أدمغتنا الثلاثة، فعندما نكون من النوع الانفعالي يعمل الجهاز العصبي الإعاشي أولاً، وعندما ندير حساباتنا وأمور عملنا ووضعنا الاجتماعي والسياسي تكون القشرة المخيّة في أوج عملها.

أما عندما نريد الإعجاب فيأتي دور الجهاز الطرفي، ما يسترو الحياة التناغمية بجدارة.

ولكن بإمكاننا إثارة سـلوكية الانبســاط في أنفسـنا بمحض إرادتنا باسـتنهاض بعض النواقل العصـــبية كالدوبامين التي تَنْشُـــطُ بإيعاز من القشـــرة المخية وبدون محفّز خارجي. يُعدّ تنشـيط هذه المنطقة أو تلك من دماغنا إرادياً أمر خارق حقيقة، تتجلى فيه مرونة بنية الإنسان نفسه.. حريته الإلهية الفطرية.

وهو ما أعنيه بالجاذبية الحقيقية أي أن تختار لنفســك طريق الجاذبية بإرادة واعية وديمومة مقررة مكتســبة ذاتية بشــرط ألا تكون واقعاً في غياهب اللاوعي القهري.

ولكن أليس من الغرابة أن نكون الحاكم والمحكوم في آن واحد؟

وأن يكون للدماغ إمكانية تقرير مصـيره بنفسـه؟ أم أنه خُلق كذلك للقيام بمثل هذه المهمة كعضوٍ حيٍّ مُعجز؟*

---

* للايمان أيضاً جاذبية وبيولوجيا تشعرك بالانصهار بين غبار النجوم في الكون الفسيح.

تتمركز فعاليات هذه البيولوجيا في الدماغ المُعجز، على أطرافه لتشهد على الخالق في أصغر ما تعمل عليه الخلايا العصبية في الحب كما في الكراهية، في الأسر كما في الانعتاق وفي الصلاة والخشوع كما في التأمل والتفكر. عندما تنشط هذه البيولوجيا في الدماغ المُعجز على أطرافه يحسّ المرء بنقائه وبوجود طاقة تسكن جسده لتشع منه باتجاه الآخر ثم تعود مشحونة بطاقة مثيلة غير بديلة تفتح في دماغه مشابك للنور تُدخل قلبه في بهو المسافر.

هذا الشعور هو الشاهد على أن المرء في أطراف دماغه يدخل في فضاء خارج الزمن العقل في الوقت الذي بقي مرتبطاً بكل ما حوله داخل الزمن الروح.

في مكان ما من دماغ الإنسان وعلى أطرافه وربما تحت مهاده في بطانته لمع سر الخالق فيه ولا أجد ما أزيد على ما أريد..

القشرة الدماغية جزء من الدماغ الكل، والجزء الذي ينفي وجود صنوه يتوقف به الزمن حيناً في المحطة، يتصلب نسغه ويضيق بالإنسان زمانه قبل مكانه.

بين دماغ العقل ودماغ القدرة على الجاذبية علاقة المضغوط بالمنفلت، عندما يضغط العقل على بواطنه تتحرر أطرافه لتؤمن عودة التوازن إلى روحه.

عندما يمتزج العقل بروح الجاذبية يعلو به الفكر سمّواً كما لو كان في منطاد يرتفع ويهبط بمهارة الحرارة الإنسانية. إن دماغ الجاذبية لا يستيقظ لحظة ليغفو أخرى. هو على الدوام يندف كالثلج صامتاً ليذوب في حلم المسافر الدافئ.

إن انتصار العقل على العاطفة محنة وتفريغ داخلي مميت في حين يُشعر انبعاث العاطفة بالامتلاء وهو نظير مأمون لاستفاقة العقل من هذيانه.

معرفة الإنسان لما يريد هي من أجمل بدايات الفكر السليم ولكن رعاية هذه المعرفة هي التي تؤهله للارتفاع في منطاده.

يبدو هذا الانتقال من القشرة الدماغية إلى الأسفل قليلاً مرير بعض الشيء لأنه حركة اقتلاع وطمر قد تترك بعض الجذور سطحية تتعرض لظروف إعاشية قاسية ترتكس لها العضوية كلها..

ولكنه الانتقال الواجب والحاسم في وضعنا الراهن.

ومن لم ينتقل وظل قابعاً في قشرته لينهل من ينبوع جردٍ أو فصّ جردٍ فقد وقع في جبٍّ كثرت الكُسارة فيه وغار ماؤه.

ماذا نفعل؟

رفعُ الكسارة أولاً فهي مازالت مواد بناء تصلح لرصف ورصّ جدرانٍ توقف الردم في الجبّ وتمكين عمقه حتى ينال السهلَ فينبت الزرعُ وتزهر الأشجار وتثمر ويسعد الأطفال في بساتين الشام برؤية المناطيد تعلو رؤوسهم.

إن الدماغ بفصّيه والذي مكنّني من السطور هذه هو حقيقة وليس خيالاً، وهو من صنع خالق ماهر، ولا أحسبني أبوح النذر اليسير من سره.

=

= أما الحرية التي "يفركونها" هذه الأيام عولمياً أمام بيوت الشمس فهي تكاد تطرف عيون أبنائنا وعيوننا لكثرة ما علق بلبها من قشور حتى باتت المناطيد في سجل تقنيات تدوير القمامة..

ولكن الدماغ الذي خُلقت أطرافه في رأسي مشبع بأوكسجين من ربوعي وهو الذي يقلني مؤمناً حراً ومبتسماً.

إن عظمة الخالق لا تتجلى من خلال العقلانية فينا فحسب وإنما من خلال الفن والشعر والموسيقى كذلك.

وما العبادة قناعة إلاّ عقلانية بنكهة وجدانية، والوجدانية أرفع مقاماً وأصالة.

إن هذه الوضــعية التناقضــية ظاهرياً لها ما يوضــحها على مســتوى مرونة الشــبكات العصــبية في الدماغ ومطواعيتها في القيام بأعمال من قبيل الابتكار الحيوي.

إن الدماغ مخلوق بلا شـك ليعيد تجديد داراته، وهي خصـوصـية تعطيه بعداً وتمايزاً وإن دلّ على شيء فإنما يدل على عظمة خالقه.

عندما يتحدثون في أيامنا عن التحديث ويشـــرحون مخاضـــات التغيرات الاجتماعية والاقتصـــادية والسـياسـية وغيرها إنما يقفزون فوق أنفسـهم بيولوجياً وهو ما يثير تعب العقلانية ويحض على ممارسـة طقوس المسايرة والانقياد.

هناك علاقة ما بين تحديث مجتمع إنســاني وتحديث جوهر الإنســان الأعمق وليس ذلك بلغز على أحد وكل ما هو غير ذلك إنما يهدف في النهاية إلى حضـرنة الاسـتغلال تحت قباب عقلنة المجتمع في الأدمغة المغلوبة على أمرها.

إن هذا الوجه من التحديث هو بالضـرورة البيولوجية ميئوس منه تاريخياً لأنه يزيد حالة الضـحية سوءاً بتفسّخ آمالها وتراكم إحباطاتها.

هذا الوجه من التحديث هو على غير هدي برمجة الخالق فينا..

بيولوجياً من تطور في أنفسنا ولكن مع التوازن والتناغم في وجودنا بسيطرة الطيب والأريحية وكل ما هو غير ذلك إنما يمضي في الاتجاه الخطأ إيمانياً.

تؤدي استثارة أي جزء من الدماغ إلى تغيرات تركيبية كيميائية يمكن رصدها وقياســـها وهي التي تحث على إنتاج المزيد من الوصـــلات الخلوية وإيجاد خلايا متجددة وقد يكون لذلك صلة بتحفيز جينات معينة بالخلايا العصبية دافعة إياها إلى إنتاج المزيد من الوصلات الخلوية.

ولو أتيحت لك ولي رؤية الدماغ بالتصوير البطيء وهو يتفاعل مع ما يمر به فإنك وأنا سنراه بلا شك ينمو، ينكمش ويتشكل طيلة الوقت وكأنه في حالة تخليق مستمر.

حتى التركيب الكيميائي للخلايا العصـبية نفســها يتغير ولا وجود لعتاد مادي دماغي ثابت غير متغيّر ولا وجود لذخيرة نهائية. كل معارفنا حول طبيعة الدماغ كانت بعيدة ومنفصلة عن السلوك البشري لتعذر فحص الدماغ حيّاً وهو محفوظ في الجمجمة بأمانة فائقة.

ولكننا الآن وبوجود التقنيات الحديثة كاستخدام الفحص بالأشـعة المقطعية أو بأشعة الانبعاث البوزتروني يمكن متابعة مسار المواد الكيميائية وهي تشق طريقها خلال مساراتها الخاصة المتشعبة داخل الدماغ وبدأنا نفهم تفاصيل تركيب ووظائف دماغنا المميز، كيف يعمل وكيف نجعله يعمل بصـــورة أفضـــل. لقد بدأ غموض العصور القديمة يتراجع لتحل محله معارف القرن المعاصر.

عندما نختار الجاذبية كمنهج لأنفسنا إنما نختار النور والإشعاع والطاقة كهدية إلهية. الجاذبية شاهدنا على الحرية البيولوجية التي أسكنها الخالق في نفوسنا وهي من خصـوصـيات الجنس البشـري بلا منازع، باختيارنا الإرادي الدخول في حالة الجاذبية نقرر بأنفسنا تعديل المسارات العصبية في دماغنا، نقرر إيجاد تشابكات ووصـلات جديدة وبتسـهيل أداء البعض منها أو تثبيط أداء البعض الآخر، لاسـيما وبعض العصـــبونات التابعة للجهاز الطرفي قابلة للتجديد بخلاف الاعتقاد الســائد جهلاً. وهذا ما يسمح بتصوّر إمكانات تطوّر وتكيّف لدماغنا غير معروفة من قبل.

إن التطور مستمر ونحن باستمرار مُسقَطون على المستقبل. يمتاز دماغ الإنسان بمطواعية خارقة وما زلنا بعيدين جداً عن اكتشاف كل الإمكانيات المؤدية إلى تكيّفه.

تشير الاكتشافات الجديدة في هذا المجال إلى أننا قادرون بسلوكياتنا وإرادتنا على التكيف لإيجاد عصبونات جديدة في دماغنا تسمح بتنظيم شبكات جديدة من الخلايا العصبية. ومن المبرهن عليه علمياً أن الإنسان يمكنه تحويل ذاته الحيوية في كل وقت وفق ما يريحه عندما يتجاوز مخاوفه ومثبطاته.

هذه الاكتشافات سوف تبدل إلى حد كبير من طريقة تفكيرنا وطريقة أن نكون في عالمنا كأن نقرر تجاوز الوعي المكتسب والخوف من المجهول ونعبر عن رفضنا للضغوطات والطموح المُعجَّل..

وأن نحلم بتجاوز أنفسنا وأن نغامر ونستكشف حقول الممكنات، أي أن نبتكر حريتنا وأن نجعلها تحلق بالإرادة والتفكير فنسحر العالم من حولنا بها ونضمن مستقبلنا بقدر ما نمتلك حاضرنا..

هل كل ذلك ممكن؟

إن ذلك ممكن بيولوجياً وما آلية التئام الجرح مثلاً إلا عملية تمايز لخلايا مرشحة لوظيفة جديدة وهي تقابل تماماً مطواعية اكتساب دماغنا لآلية فهم جديدة.

الجذاب الحقيقي يملك من الإمكانيات العصبونية قدر ما يعوز غير الجذاب ممنها.

الإمكانيات واحدة للجميع ولكن إرادة تطوير كمون الجاذبية هي الفيصل في الحالتين.

فمن تمتع بالإرادة تلك حظي بإيقاظ وتشغيل دماغ الجاذبية.

ولكن ما الذي يكبح تلك الإرادة عند البعض؟

وكيف يمكن تدارك ذلك؟

إنه الخوف الذي يكبح إرادتنا.

العالم خائف.. خائف من المجهول..

إننا لو استطعنا الإفلات من سيطرة القشرة الدماغية جزئياً بنسف الأقفال الصدئة في أعماقنا وإذا عملنا على بناء الذات ونحن نعمل ونحن نعمل وإذا انفتحنا على العالم والآخر وقبلنا تحمل الآخر، فإننا سوف نزيد من نشاط دماغنا الطرفي ونسهم إلى حد كبير في تطوير القدرات الهائلة التي يضعها تحت تصرفنا.

وربما كان ذلك السبيل الوحيد للحدّ من انحطاط الأمم السائرة في ركب الإنتاجية في التناحر.

إن الدماغ هو كالعضلات، يمكن الحفاظ على لياقته.

لقد ساهم أنشتاين وبطانته في الترويج لفكرة أننا لا نستعمل سوى ١٠% من دماغنا البشري، وتبين اليوم للجميع أنه خطأ وتلفيق كبير.

ما يثبته العلم هو أننا لا نستعمل الـ ١٠٠% من دماغنا عندما ننظر إلى التلفاز مثلاً أو أثناء اللعب أو العمل أو الرياضة وغيرها.

ولكننا لو مسحنا في نهاية النهار كل المناطق من الدماغ التي ساهمت في نشاطاتنا كافة لوجدنا أنها تغطي الدماغ كاملاً، والتقنيات الحديثة تدعم ذلك أيضاً مئة بالمئة.

إننا نستعمل كل خلايانا العصبية ولكن ليس في نفس الوقت. فلو كان الإنسان لا يستعمل سوى ١٠% من دماغه فعلاً لما شعرت الغالبية العظمى ممن تعرضوا للسكتات الدماغية بذلك!

كما أن الدراسات المجراة على الدماغ في حالاته المرضية السرطانية والتي لا تمس أكثر من ١٠-٢٠% من الخلايا العصبية تؤكد تعرض أصحابها إلى نتائج وخيمة جداً.

ويبدو الأمر من الناحية التطورية غير منطقي أن جنساً كالجنس البشـري قد طور عضواً بحجم الدماغ (والذي يستهلك لوحده خمس ما يستهلكه الجسم كاملاً من الأوكسجين والغلوكوز) ليبقي ٩٠% منه بوراً!

ولو كانت حدّوثة الـ ١٠% هذه صحيحة لكان الجنين أنشتاين قد غادر رحم أمه في وقت مبكر..

إن الدماغ يعمل كاملاً، في الليل كما في النهار ولا يؤثر النوم على نشاطاته بل على العكس يساعده نوم صاحبه على حل صعوباته وشحن قدراته.

لقد قدّر العلماء عمر الدماغ الكهربائي بـ ٤٠٠ عام وهو عندما يشيخ مثلاً فإنه يبدو أكثر شباباً من كافة أعضاء الجسم الأخرى، لأنه يشيخ بصورة أفضل فهو يعيد بناء نفسه باستمرار بإيجاد مشابك عصبية جديدة وفق الطلب والحاجة على الرغم من ضعف تلك المطواعية نسبياً بعد الثمانين. ويبدو اليوم أن الشيخوخة الجيدة للدماغ تعتمد بشكل كبير على ما يحتويه من الخلايا الاحتياطية في زوايا فصيّ الدماغ لاسيما المجاورة للمخاطية الشميّة وهي الجزء الأكثر تعرضاً للجهة الخارجية من الدماغ الجبهي والتي تؤمن على ما يبدو التجديد المستمر للخلايا العصبية. وقد توجد مناطق أخرى ولكننا لا نعرف عنها شيئاً حتى الساعة.

٧- من أجل دماغ أكثر كفاءة

تشير الأبحاث الجارية في بعض المخابر الصيدلانية المتخصصة في العالم إلى إمكانية تركيب جزيئات قادرة على تنشيط القدرة على التركيز وعلى تدعيم الذاكرة واليقظة وتعمل على المزيد من الإبداع، ولكن بانتظار الحبّة المعجزة يمكنني بكل بساطة تغذية دماغي بشكل جيد وصيانته يومياً بهدف الحفاظ على رصيد مئة مليار خلية عصبية لأطول مدة ممكنة.

كيف؟

إن الدماغ بحاجة لتغذية صحية جيدة كي يقوم بمهامه بشكل جيد. إلا أن الغذاء اليومي قد لا يفي ذلك بالضـــرورة. فالكثير منا في حالة عوز لأحماض دســـمة وأحماض أمينية أساسية وفيتامينات وعناصر معدنية..

إن عوزاً كهذا يمكن أن يؤدي إلى ضعف في القدرات الدماغية وإليكم ما يجب فعله:

إن تمييز ما هو جيد لعمل الدماغ يســـمح بمعرفة الأغذية اللازمة بالدرجة الأولى.

تشـــكل الليبيدات أكثر من ٦٠% من كتلة الدماغ، وحوالي ثلاثة أرباع هذه الليبيدات من أحماض دســمة من النوع أوميغا -٣ وهي جزيئات طويلة الســلســلة الكربونية تزيد من مقاومة حالات الكرب والتوتر وتسهم في محاربة الإحباط نسبياً بزيادة المســتقبلات المكلّفة بتلقي الرســائل الكيميائية للســيروتونين والمسـؤول عن طيب المزاج.

ولكن لكي يقوم الجســم بتخليق هذه الجزيئات لابد من احتواء غذائنا على تلك الأحماض الدســـمة أوميغا -٣ بدءاً بالأحماض ألفا لينولينيك (الموجود في الجوز وبذور الكتان وزيت بذور اللفت أو ما يعرف بالكولزا) وهي مهمة قد يصـعب على العضوية تحقيقها بنجاعة وفق الضرورة.

لذا يُفضـــل تناول الأغذية التي تحتوي عليها كالأســـماك الدســـمة (ســـلمون، سردين، تونة) والقوقعيات والقشريات كالجمبري والقريدس.

ومن الأغذية المفيدة للدماغ أيضـاً الكولين وهو المسـاعد على تخليق الأسـيتيل كولين النـاقل العصـــبي للذاكرة وكذلك التيروزين (الموجود في اللحوم والبيض والأسـماك واللوز والأفوكا والموز والصـويا) والفينيل آلانين (في المشـمش والتين والجوز والفستق..) ولا ننسى بالطبع الفيتامينات والحديد.

فعوز الفيتامين B١ يؤدي إلى تدني نســبة النواقل العصــبية كالاســتيل كولين والنورادرينالين والـ GABA والغلوتامات والآسبارتات.

وعوز الفيتامين C يعوق تخليق النورادرينالين اعتباراً من الدوبامين.

كما أن الخلايا العصـــبية نهمة جداً لمركب الفولات (فيتامين B٩) والعوز إليه يساعد على ظهور مرض باركينسون حيث النقص في هذا الفيتامين يضعف الخلايا العصبية المتخصصة في تخليق ا لدوبامين ويُنصح على الدوام باستهلاك الفواكه والخضار والحبوب الكاملة.

إن الهدف الأســاســي من وراء التغذية الجيدة للدماغ هو زيادة كثافة التبادلات ما بين الخلايا العصـــبية (وهو بديل صــــحي طبيعي عن الكوكائين والكافئين والنيكوتين وغيرها من العقاقير التجارية) زيادة التبادلات هذه ترفع زمن الوصــــل بين خلية عصبية والتي تليها أي أنها تدعم المشابك العصبية.

كما تعمل الأغذية الصـحية الجيدة على المحافظة على النواقل العصـبية بالحدّ من تدركّها أنزيمياً وتحسن من ألفة المستقبلات لهذه النواقل العصبية.

الفصل الرابع

الجاذبية غزو للذات أولاً

١- ما هو المهم أن نكون أم كيف نظهر؟

عندما أختار أن أعيش حياتي كما تأتي به نفسـي فإنني لا أمثل مبدأً بحد ذاته بل شـيئاً أكثر سـحراً، شـيئاً ما ينبض في أعماقي.. يرفل بالحيوية ويبحث للإفلات مني.

تقول المرأة على الأغلب في مرآتها: كوني جميلة! لابد أن تكوني جميلة!

بينما يتساءل الرجل: كيف تكون جميلاً؟

هناك إذن مقاربتان مبسـطتان جداً للجاذبية ولكنهما حقيقيتان، تسـاؤل الرجل ينطوي على إرادة في تطوير ما يملك من "الجمال" في حين يتضـح أن المرأة تريد "تصنيع جمالها" ومن النساء من تهذي بخلق جديد!

ولكن كيف؟

هناك من يعكف على تحسين مظهره بوسائل تجارية شتى لن أتكبد العناء في ذكرها وهناك من يتصـرف على أسـاس قبول مظهره الخارجي طبيعياً، وإضـفاء المزيد عليه من شخصيته. وسواء تعلق الأمر بهذا أو ذاك المهم هو النفاذ إلى الآخر واستحواذ إعجابه الذي لا ينقضي بزوال مظهر عابر.

إنني أميل إلى الحكم بمرارة كلما تعلق الأمر بالجمال الدعائي الأجوف وزاد الطلب المرضي عليه وكلما تأكد هوس غزو الآخر عن طريق المظهر.

الإنسان الجذاب هو فنان قبل أن يكون من روّاد محالّ العناية بالبشرة وعيادات الجراحة التجميلية.

الجاذبية لا تُشـترى وهي ليسـت خدمة على كل حال. إنها نتيجة تعبير حي عاطفي تصـوّري لشـخصـية تتطلب الاختلاف والتمايز. إنها نتيجة تشـغيل للحرية الداخلية.

وإذا كانت الجاذبية ليسـت للبيع لتشـرى فهذا يعني أنها في متناولنا جميعاً. إننا نمتلك الوسائل لبلوغها.

ولكن هذه الوسـائل كانت قد قُمعت لقرون غابرة في نفوسـنا بسـلطة القشـرة الدماغية والطريق المؤدية لإعادة الروح إليها ليست قبالة خطونا.

٢ـ تعب العقل

استحوذ العقل على السلطة منذ قرون في العالم وكان السبيل إلى الخلاص من الجهل والتقرب من الحقيقة وتسـليط الضـوء على وظائف الحياة كافة وعلى خفايا التاريخ وأسرار الكون وقد ناضل المدافعون عن العقل طويلاً ومريراً في سبيل ذلك وفقدوا الكثيرين منهم شهداء نبلاء.

لقد فكر الإنسان منذ الأزل بأن العقل هو السبيل إلى تراجع التحجر والشمولية، وأن العقل هو الذي يحسـن علاقات الفرد الاجتماعية بغيره. إلا أن العقل قد تلقى نكسـات عديدة في القرون الثلاثة الماضـية حيث تربع على السـلطة أناس مارسـوا الرعب والاضطهاد باسمه وتحت يافطته!

ولكن هل هناك من حلول أخرى لمجابهة الظلم الاجتماعي، لمجابهة الفظاعة والتعصب غير العقل على مرّ الأزمنة وتوالي الشعوب؟

لقد كان حدس معظم المفكرين في العالم ينصـب على ضـرورة حكم العالم بالعقل، حكم مبني عل التسامح المتبادل والدفاع عن الحريات الشخصية..

وأنه لابد أن يكون العقل هو الأسـاس في إدارة التاريخ في العالم إذ يسـمح بتطور التقنيات ويأتي بالازدهار ويؤملُ منه الوئام والسلام..

إنه كلام جميل يحلو لبعض المنظّرين ترداده خاوياً في القرن الحالي للأسف.

أين نحن من هذا كله؟

لقد أضـحى العقل يُستعمل لكل المآرب وأصـبحت التقنيات المتطورة في أياد تجهل الغاية الإنسـانية منها وبات الازدهار منشـوداً في خضـم تردي الأوضـاع المتزايد في العالم وعمق الهوة ما بين الشعوب.

أما الوئام فهو إلى ضياع تام والسلام محتضرٌ تحت ناظرنا.

يتراجع احترام الذات الإنسانية لتغور معها حقوقها الأساسية من عمل وسكن ونشاط.. بل وحرية في الحياة الكريمة وكأننا نحضر لأمسية تأبين العقل المغتال أو الراحل تعباً.

رُفضت الأحاسيس زمناً ومعها الانفعالات صمّام أماننا لكونها غير منتجة وبحجة مناوأة نهج العولمة* الاقتصادية بالدرجة الأولى.

وبدأنا نتحسس نفثات الوحش القادم بعوز العواطف والعزلة في كل مراحل العمر.

بدأنا نستشعر ذلك بكثرة الانتحارات ما بين الأعمار النشطة الناضجة في العالم.

وبدأنا نتلمس في أوساطنا تعب الناس جميعاً، أرقهم وانحطاطهم النفسي وضعف دفاعاتهم المناعية وتزايد الأرج في أجسادهم والتهافت على استهلاك المهدئات ومضادات الاكتئاب وغيره..

كما لجأ البعض إلى حدّ تعاطي المخدرات والمهلوسات وما إلى ذلك من سموم قاتلة..

إن ما جلب القوة في التاريخ لمجتمعاتنا هو نفسه الذي يجلب لها الويلات في العصر الحديث، حكم الظلم باسم العقل، لقد انقلب السحر على الساحر.

ولكن هل من بديل أو بالأحرى هل من منقذ؟

---

* كثر الحديث مؤخراً عن مصطلح "العولمة" بين المنظّرين وفي الصحافة العامة وغالباً ما تستخدم الكلمة دون توضيح.

تشير العولمة إلى مجموعة من الإجراءات تجعل العالم أكثر اندماجاً واعتماداً بعضه على بعض.. تعتمد فيه الشركات بعضها على بعض وترتبط فيها الاقتصادات الوطنية بعضها ببعض وسيطرة نخبة سياسية واقتصادية جديدة غير خاضعة للمحاسبة إلى حد بعيد، هي سيطرة مركزية متجانسة لمن في يده زمام الأمور..

سلطة هائلة في أيدي طبقة عالمية حاكمة جديدة تعتمد بلا رحمة على الاستثمار الأمثل للإنسان.

إن حكم القشـرة الدماغية أو الفكر العقلاني الذي كان لزمن العامل الأسـاسـي لتكيف وتطور حياتنا الاجتماعية يعمل اليوم على فرملة هذا التكيف وعلى مرأى من عقلاء القوم أيضاً. لماذا؟

لأن حكم القشرة الدماغية لم يعمل على تطوير مشاعرنا والتخفيف من ثوراتنا الداخلية ولم يدفع بنا خارج مناطق الظل في نفوسـنا التي دفعت إلى الحروب والدمار والاستغلال. لأن حكم القشـرة الدماغية لم يستطع تغييب العزلة عن حياتنا ولم يأتنا بالحب الذي ننشد للتوازن.

هذا التوازن هو المنقذ الحقيقي.

لابد من عودة التوازن هذا برد الاعتبار للقيم العاطفية التي يديرها الجهاز الطرفي بحب الذات بحب الآخر وباحترام النفس باحترام الآخر وبالتضامن والدفاع عن المشـاعر بالدفاع كذلك عن قيم دماغ العقل نفسـه ولكن ضـمن حدوده "العاقلة" وبحجمه الطبيعي.

إن ما يعمّ اليوم من الأمراض النفسـية الجسـدية هو من فعل ذلك الاختلال في التوازن ما بين فعل كل من دماغ العقل السيّد والجهاز الطرفي غير المعتبر، ما بين تشقّق جذع الشجرة ونسغها الضائع.

إن العقل هو سـمة العالم، يعمل على ترميز وتشـريع القوانين التي نخضـع لها جميعاً أما الجهاز الطرفي، دماغ الجاذبية، فهو شـيء آخر تماماً، إنه التعبير عن الذاتية في الفرد وإعلان اختلافه بتنفس الحرية.. هوية شخصية حقيقية.

إن اختلال التوازن مـا بين الجهـاز الطرفي (حيث تتولد خلجات الجسم العاطفية) من جهة والقشـرة الدماغية (حيث تتولد وظيفة الرقابة على تلك الخلجات العاطفية) من جهة أخرى قد أوصل إلى هذه الحالة من تعب العقل!

وهذا ما يتمثل في أيامنا في ظهور اضـطرابات سـلوكية غير مسـبوقة كانعدام الشهية أو النهم والاضطرابات القهرية والإحباط أو النشاط المفرط.

إن القشـرة الدماغية التي لم تتطور منذ ملايين السـنين وجدت نفسـها فجأة في مجابهة بيئة بشرية تنشد الكمال والاستحواذ بما يشبه الهوس فعلاً.

لقد فقدت هذه القشـرة الدماغية كما يبدو قدرتها على التكيف ومن السـهل على الجاذبية لعب دور المنقذ في إعادة التوازن المفقود.

٣- منغّصات قوة الجاذبية

إن فهم الإنسـان لمشـاعره والتعبير عن حريته ليس بالأمر السـهل، فالعدو الرئيسي يكمن لنا في نفوسنا كالخوف والوسوسة أو التدثر بالتقاليد والأعراف على علاّتها.

إن الحرية لا تُشـعر بالأمان على الدوام والضـغوط للدخول ضـمن الصـف مُطبقةٌ علينا، مستمرة لا تهدأ..

إن دماغ العقل المتمركز في الفص الأيسر من القشرة الدماغية يستكشف العالم من حولنا، يحلل الأمر المفروض ويقبل أو لا يقبل بمعطياته ويمكنه مسـاعدتنا في التعبير عن مواقفنا وشكوكنا.

إنه سـلاح للحرية المرتبطة بالذكاء التحليلي والاسـتنتاجي الذي نبني على أساسه فكراً لامعاً مشعاً ولكنه بارد..

تضـخَّم حجمُ وفعلُ هذا الدماغ على مرّ التاريخ على حسـاب الدماغين الأخريين، الدماغ الإعاشـي والجهاز الطرفي "دماغ الجاذبية". وعمل على تثبيط بل إيقاف الدماغ الإعاشي عن عمله جزئياً بحكم التطور الطبيعي ولكنه تعرض في الوقت نفسـه للجهاز الطرفي وهذا أمر مقلق إذا علمنا أن المشـاعر والانطباعات والحدس وعلاقتنا بالفن والشـعر وغيره مواد بناء قوية لبناء الحرية في كينونة الأفراد.

إن فهم العالم من حولنا شـيء رائع ويكون أروع لو حلّ العقل على الجاذبية ضيفاً خارج حدود الهيمنة والإزاحة.

إنها فكرة جديدة أخاذة سلكت طريقها بقوة إلى نفسي منذ عقود قليلة وتهدف إلى التخفيف من وطأة القشرة المخية على الجهاز الطرفي والتي نالت كثيراً من شروط وجودنا حتى الآن.

لابد من تحديد وتحييد منغصات قوة الجاذبية هذه حتى نضمن رحيل الصقيع عنها.

إن الحرية لا تُشعرُ بالأمان على الدوام ولابد من معرفة الرمز الذي يسمح لنا بالحرية ونحن ضمن السرب درءاً للتشتت.

لابد من رفض الخوف في أجوائنا فالخوف يعدم حقل الجاذبية. وحري بمن تحرر فعلاً دفن صرّة الظلم بعيداً حتى لا تُبعث في رحم أخرى أو يمر يوماً بقرب مردمها.

وحريّ بمن دفن صرّة الظلم هذه في أعماق التراب أن ينعم بجاذبيته الأرضية الرحيمة مرفرفاً للقاء صنوه في أجواء من الاكتشاف والثقة والمحبة.

إننا جميعاً نتحلى بصفة الجاذبية هذه ولكن ينقصنا مفتاحها، الجرأة.

الجرأة في ممارسة الجاذبية.

وعلينا أن نختار.

أن نختار بناء أنفسنا ومقارعة كل ما من شأنه عرقلتنا في اكتشاف نفوسنا وتأكيدها. ومهمتنا شاقة بالفعل في التعرف على تلك الضغوطات، نزع القناع عنها وتجاوزها.

وبالعمل على أنفسنا أولاً وبتعزيز ثقتنا يمكننا التوجه نحو الآخر أحراراً كما ولدتنا أمهاتنا.

٤- الجرأة في الكينونة

إذا كانت وسائل التعبير والسلوكية الجذابة منوطة بجزيئات كيميائية وسيطية فإن شرارة البدء التي تقود إلى مثل هذه الإفرازات هي من اختصاص إراداتنا التي تأتمر بقشرتنا الدماغية وعلينا تخليص هذه الأخيرة من دثارها البالي أولاً.

الجاذبية هي بحد ذاتها غزوة للذات أولاً تبدأ بالجرأة في أن تكون أنت وهي التي تسمح بتفتح الحرية الداخلية الحقيقية مصدر تلك الجاذبية.

ولكي نتفهم هذه الجرأة فلنأخذ حالةً حدّيةً وهي جاذبية نجوم الفن في السينما والغناء وغيرها.

عندما يحل الفنان النجم على مكان ما يحلّ الصمت لحظة تسبقه موجة شبيهة بالصدمة تدوم لثوان معدودات..

من هو ذلك الفنان حتى يثير هذه الحالة عند البعض ويلعب هذا الدور من التصعّد؟

هل هو من طبيعة مختلفة عن صنوف البشر العاديين أم أنه ببساطة طورّ بعض ما نملكه نحن ولم نفعل مثله؟

لقد ردّ أحد الفنانين العالميين على إحدى معجباته بالعبارة التالية: "لست إلاّ واحداً من هذه المليارات من الحيوانات الإنسانية التي تسكن كوكب الأرض، لا تجعلي مني ما لست أنا عليه.."

إن أسوأ ما يمكن أن يحدث لمن سطع نجمه هو أن يبدأ بالاعتقاد بما أصبح عليه شخصه الخرافي.

إن الجاذبية بمفهومها المبسّط هي كالأناقة. فبقدر ما تظهر أقل صخباً تكون أكثر تمركزاً في ساحات رؤيتنا، والفنان النجم حقيقة لا حاجة له بالمعجبين والمعجبات كي يثبت وجوده وموهبته فالنجوم تلمع من ذواتها ولا حاجة لتسليط الضوء عليها كي نراها..

الفنان النجم بحاجة فقط أن يكون صادقاً في ممارسة وجوده بحرية وبلا خضوع لأية اعتبارات أخرى.

هو من يحترم عمله وبذلك يكون قد مارس كينونته بجرأة، والجذابون والجذابات هم كذلك أيضاً أناس قد زوّدوا في أنفسهم جهازهم الطرفي بالجرأة اللازمة ليأخذ دوره في حياتهم.

الفنان الكوميدي على سبيل المثال مدرسة للجاذبية بعينها ولا ينجح ما لم يكن صادقاً أولاً فيما يعبر، بعيداً عن التهريج المبتذل، سهل الانكشاف.

يعمل الفنان عموماً بجهازه الطرفي أكثر من غيره لذلك فهو يبدو أحياناً كمن يخترق الزمن ولا يستدعيه وهي من خصوصيات قوة الجاذبية.

الجاذبية الحقيقية ليست بحاجة للآخرين للتصديق والتصفيق فهي التي تستحوذ على الآخرين ولا تُؤخذ بهم بل العكس هو الصحيح.

إن ما يميز هذا العصر فعلاً هو أنه ابتكر الجاذبية مشهدياً.

إننا بيولوجياً كالفنانين النجوم طبعاً، لمراكزنا العصبية نفس البنية التشريحية، تفرز المواد الكيميائية نفسها في النهايات العصبية.

ما يفرقنا عنهم دماغياً هو أن الفنانين قد تملكوا الإرادة لتأكيد شخصيتهم بقوة وصدق وحرية في الصوت والتعبير والصورة.

لماذا؟ كيف؟

لأن الفنان قد توقف عن القيام بدور المشاهد الشاهد على حياته فهو قد تمّلكها، وهو بذلك قد أصبح اللاعب الرئيسي في دور الجاذبية..

الجهاز الطرفي هو الجزء المتمرد من الدماغ على سوار العقل.

المتمرد على كل الحسابات كما الجاذبية المتمردة على القيود وشرعنة السدود في النفس البشرية.

الجاذبية ليست سلطة بل فضّ لها لأنك بالجاذبية تتجه للآخر فيأتي إليك..

وهو ما يفتت ويذيب مفهوم السلطة في كل وقت، عندما تتساوى مع الآخر في الحب كما في الصداقة والأمانة تنتفي عنك وعنه الحاجة إلى السلطة. عندما تتجه نحو الآخر بجهازك الطرفي لا حاجة لك حينئذٍ لمرآة في رأسك تعكس لك صورة ما يرضيك في نفسك.

لأنك بذلك تكون قد عبرت المرآة نفسها وتركتها خلفك، إنك الآن تنظر إلى العالم من حولك بدون مرآة وتعيش مع الآخرين وبينهم بالحلول الخلوي لا بالاختراق

ولا علاقة للجاذبية بالتفوق على الآخر إلا بالجاذبية نفسها ولا يهم من يفتح الباب أولاً حين يُعتمد الحُلول.

إنني أبحث عن إعجابك فأنت تعجبيني، هذه هي السلطة، إن الجرأة في أن تكون أنت بجسدك وتاريخك وأخطائك، هو ما يلمع فيك أكثر مما تفعله النجاحات الباهظة الثمن في عصرنا.

الجرأة في أن تفعل ما تريد وتتذوق ما تفعل. الجرأة في أن تختار الحرية لتستجرّ إليها حرية الآخر، الجرأة في أن تكون على موعد دائم مع جهازك الطرفي راع لدفء الحرية على تخوم قطب الدماغ..

للأجهزة الطرفية لغة إنبعاثية لا تتأثر بَعنَتِ القشرة الدماغية وهي فوق ذلك كله غير انكسارية.

وليحذر الذين يبحثون عن "الطمأنينة" لذواتهم فما إن يجدونها حتى تستعبدهم لتسخر من جهودهم في البحث عنها..

وتنال من ذواتهم في أعماقها، تنال من مشاعرهم تجاه الآخر وتعمل حتى على حذفه من ساحاتهم.

إن الطمأنينة هذه هي كالجمال للجسد قد يريح ظاهرياً ولكنه في الحقيقة مصدر موثوق للمتاعب.

إن الطمأنينة هذه هي كالسلوكية المُطبقة على البعض كالقالب، قد تشعرهم بالحماية ولكنها كالرخامة فوق رؤوسهم إن من يفهم هذا كله هو كمن اكتشف الجاذبية الحقيقية..

ومن يدفع ثمناً كهذا يلتقي بالضرورة مع صراعاته وجراحه..

ولكن لا خوف عليه فهو مسلّح للانتصار بعد الانكسار وللتعافي بعد سقمه بسلاح الحرية التي ظفر بها ورعاها ويا له من رجل خطير..

رجل حوار شامل

إن الجهاز الطرفي لا يقيم تفريقاً بين أن نكون ذكوراً أو إناثاً، ويعتمد على تكاملٍ في المشاعر والرغبة في الاندماج.

عضو التناسل عند الإنسان هو في دماغه قبل أن ينتقل إلى الأسفل والدماغ هو في الحقيقة العضـــو الأول لهذه المهمة عندما نعمل بجهازنا الطرفي وهذا ما يفرقنا بالفعل عن الجنسية الحيوانية التي تعتمد بشكل رئيسي على الدماغ الإعاشي وهذا ما تعتمده في أيامنا عروض التعري، وما تنجح في الوصـــول إليه إنما هو نابع من مراكز حيوانية صرفة لا علاقة لها بالجمال ولا علاقة لها بالجاذبية.

عندما يسعى الإنسان إلى تملك الآخر أو إخضاعه لرغباته تتوقف جاذبيته لأن ذلك ليس من اختصـاصـاتها ولأن ما يجعل من الجاذبية قوة انتفاضـيّة هو بالضـبط عدم انخراطها في ميزان أية قوى وما دون ذلك هو الإفلاس بعين الفص الأيسر من القشرة المخية أساس تطور حياتنا الاجتماعية! إن الجراحة التجميلية لا تأتي بجمال ولا توجدُ جاذبيةً لجميل، وليست السبيل البديل نحو الذات في التعبير عن المشاعر والرغبات، الجاذبية طاقة لها مصدر ولها عندما تتحرر موطئ قدم تتفاعل فيه، ولو حلّت في غير موقعها لما ارتدت على أعقابها فهي من صنع الأريحية.

الضحك شريك الجاذبية وهو انقلاب على وجوم العقل لأنه الحرية في تجاوز الحقيقة وعليه يخضـع الضـحك للحظر في أماكن ممارسـة السـلطة.. لأن الضـحك محررٌ ومبتكرٌ لعلاقة مع العالم بلا شروط مسبقة.

ولأن هذه العلاقة إبداعية وليست اصطفائية ولا تخضع بالضرورة لضوابط الفصّ الأيسـر من القشـرة الدماغية. أما عن البسـمة فهي من الروح كالضـياء تعلو الوجه بكامله. وهي بمثابة عرض خاص لجهازنا الطرفي وتكاد تكون منحةً منه.

ولكن فيزيولوجياً ما هي البسمة؟

يمكن لدماغنا الحركي المتمثل بالفص الأيسـر للقشـرة الدماغية القيام برسـم البسمة على الشفتين عضلياً حركياً ولكنها ليست البسمة التي في خاطري.

البسمة التي في خاطري أسرع من ذلك بكثير بيولوجياً.

إنها تنير الوجه بكامله عند طريق التناغم الحاصـــل ما بين مختلف عضـــلات الوجه، وبفضـــل النواقل العصـــبية تأخذ الحركة هذه رونقاً ينعكس في الوقت ذاته على تعابير النظرة بالإضافة إلى اتساع حدقة العين وحجم الرئتين.

كل هذا من فعل جهازنا الطرفي اختصاصاً وبأجزاء من الألف من الثانية!

وهي في سرعتها هذه تضاهي سرعة فعل المضادات المناعية الطبيعية..

فمنذ الولادة عندما نملأ أجواء الوليد بالبسمات نؤسس لعلاقة مبنية على الحب تبقى طويلاً حتى تلامس فيما بعد تلافيف الطفل في لا وعيه.

إن البســـمة هي بمثابة أول رمز اتصـــــالي اجتماعي مع الوليد ولن يطول انتظارنا حتى نتلقى انبعاثاً بالرمز نفسه.

البســـمة في حالتها الأولية هي عبارة عن نداء للاهتمام المتبادل وقد تكون مجرد رد بالمقابل. ولكي تصـبح البسـمة جاذبية لابد أن تخضـع للمداولة قبل الحكم فيها على مستوى جهازنا الطرفي.

البسمة هي أفضل ما يمكن التشارك فيه مع الآخرين.

وهو أمر جدّي فعلاً يخيف الكثيرين من صـنّاع القرارات ومسـوّقيها، البسـمة هي أفضل ما توصل إليه الإنسان بإنسانيته، تقع على محيط المعرفة بأمور الموت وأسرار الحياة.

وهي مجرد محاولة للتقرب إلى العالم.

البسمة لا تشيخ بل على العكس تزداد تألقاً مع الزمن وتزيد طيباً.

وأخيراً فإن البسـمة لا جنسـية لها، عالمية أممية لا تتبع لنظام أو سـلطة أو فئة أو قبيلة.

أوليست الدبلوماسية سوق البسمة في البداية؟

الفصل الخامس

الجاذبية عامل تكيف الإنسان في وسطه

١- ما بين تعب العقل وحداثة الجاذبية

مهانة العقل فضيحة عصرية، وإننا إذ نتألم لمصابنا نعيش كالأيتام نبحث عن رعاية.

تقزّمت العهود وضاقت من حولنا الحدود وبات الوئام بعيد المنال.

فهل تعب زمن العقل حقاً؟ أم أننا في زمن عقل فاشل؟ وما هي إمكانياتنا للنهوض مجدداً؟ الجاذبية في الانتظار، الجاذبية في بهو الانتظار مع المسافر.. في أعماق نفسه، فهي ليست تعبة، حديثة الظهور بعد تغييب طال لزمن غابر ومن الممكن أن تسجل نصراً وسلاماً.

لقد حاولتُ طوال هذا التحليل أن أتعرف على إمكانيات الجاذبية المحررة كقوة تواصل واحترام وقد حذّرتُ من امتهانها بالتنميط وجعلها للترويج لسلع تجارية.

إنني عندما أفكر بالجاذبية أقصدها نبيلة "منزهة" عن كل إسفاف وهي على نقيض "بهرجة" اللوحات الإعلانية وتماثيل الجمال في المجلات الإغرائية.

إن الحياة ساحرة حقاً وهي جديرة حقاً بجاذبيتنا وهي فرصتنا.

يمكننا التعلم من جديد كيف نبتسم أولاً كما في الأيام الأولى من زيارتنا لكوكب الأرض بين أهلينا.

كما يمكننا الأخذ بلبّ الحياة دون وجل وتعزيز مشاعرنا بالمناعة حتى لا تستعمل تلك المشاعر ضدنا، وأن نبادر الآخر في التوجه إليه دون مقابل. بإمكاننا أن نجعل من كل هذا مشروع حياة يقف في وجه هيمنة العقل البارد.

إننا اليوم أحوج ما نكون إلى هذه الجاذبية الطبيعية، والبطالة تستشري بين أهالينا وسوق العمل لا يستظرف إلا ما ندر.. ولرب ضارة نافعة لأيام عجاف.

إن اختيار مزج الجاذبية بحياتنا اليومية يشهد على ما ننعم به من حرية فطرية ولابد أن تكون من أولوياتنا في الوقت الراهن لأن في ذلك إرادة في أنفسنا للتكيف مع الوسط بعلاقة تضخ الروح في عقلانيتنا.

٢- الجاذبية النبيلة عامل تكيف وتطور

إننا باستعمال إمكانيات جهازنا الطرفي بما يوفره من دعم روحي نحظى بنوعية جديدة من المقاومة، مقاومة سلسة وذكية، شعورية وتصوّرية أخّاذة وهو ما يجدر تسميته بالجاذبية النبيلة وربما كان لنا فيها قوة المعارضة الوحيدة أمام العقل المهتاج عنفاً وعامل التكيف الأمثل الذي يسمح بتطوير علاقتنا بالعالم لنبقى ونرقى لا أن نبقى لنشقى.

إن اعتماد الجاذبية أداة مقاومة يساهم باعتقادي بنبذ العنف واعتبار القوة الحقيقية في النهاية تكمن في الشخص نفسه وهي التي تحميه دون غيرها.

إن تطوير الرغبات إلى صفات مكتسبة شيء معروف في تاريخ الإنسانية وإلا ما زلنا نقبع في كهوف ما قبل التاريخ.. إننا مرتهنون للمستقبل.

الاصطفاء الطبيعي كان قد اختار على الدوام الأكثر قوة واستعداداً للحياة وسوف يختار اليوم الأكثر جاذبية لأنهم الأكثر قوة واستعداداً للحياة بقدرتهم على التكيف في أعماقهم.

وإذا ما رجعنا في تاريخ التطور نتبيّن أن كل عوامل التكيف المعتمدة في عملية الاصطفاء الطبيعي كانت قد بدأت تُكتسب فردياً.

وتاريخ التطور هو كتاريخ تطور الفرد نفسه، إنه نتاج خيارات بسيطة متتالية لا تنتهي ولكنها عنيدة بتكرارها انتشرت على مدى عدة ملايين من السنين لتصبح فيما بعد جزءاً من جنس وصفات مكتسبة لأنواع مختلفة..

وإذا كانت أدمغتنا الثلاثة قد لعبت دوراً رئيسياً في تطورنا وبقائنا فهذا يعني أنها مازالت مؤهلة للقيام بمثل هذا الدور في حاضرنا.

وعلينا أن نعي ذلك بمسؤولية لأن المستقبل يمكن بناؤه منذ اللحظة في ذواتنا.

فما يصبح "عولمياً" يظهر في بدايته محلياً وليس العكس كما نراه يهدف في الوقت الراهن بصلف يُنذر بالخطورة، حيث تعمل امبراطوريات للنيل من عزيمة الفرد ولجم حريته وتحييده في ركنٍ للبقاء تحت المهانة والإفقار.

وإذا بقينا على هكذا حال فســوف تصــبح الحياة نقمة لا تطاق، لقد آن الأوان لتحويل مسار بخار الماء في الأنبيق قبل الانفجار. حان الوقت لنعمل بالجاذبية على تنظيم سلوكياتنا وبتضافر الإرادات الشخصية نقوى.

لابد من توقيف المهزلة هذه بتنازل دماغ العقل المهتاج عن عرشــه والســماح للجهاز الطرفي بتأكيد هويتنا نساءً ورجالاً.

إن القيم التي تبنى فقط على قاعدة من القشـرة ا لدماغية تضـع حدودها بنفسـها في حين برهن التاريخ على مر العصور على أن المشاعر تبقى أممية أبدية.

بإمكاننا "العبث" إرادياً بمسالك العصبونات المؤتمرة بأوامر القشرة الدماغية الذكية وبإمكاننا أيضاً قلب الدارات وإخراج القطار عن سكته أيضاً لأننا نملك البنية الكيميائية الحيوية التي تسمح بذلك. كيف؟

حين نقرر الحيـاة في ظلال جهـازنـا الطرفي وهو موجود فعلاً ولا نرفـل بطاقاته! إن الآلية التي تعمل بها أدمغتنا الثلاثة سمحت للإنسان القديم بالتطور وهي مازالت قادرة على رفد محرك التطور بما يلزم.

ما تبقى لنا أن نفعله هو أن نؤمن بذلك أولاً وأن نؤمن بإمكانية تطور البشــر إلى أفضل على سلم الاصطفاء الطبيعي وهي فرصتنا الوحيدة حيوياً لديمومة تميز الإنسان عن الحيوان.

ولكن الاصــطفاء الطبيعي يعتمد كذلك على مقدرة التكيف وهي تخضـــع للاســتقرار والتنوع. إن اســتقرار بقائنا على قيد الحياة كجنس بشــري مازال مؤمَّناً بفضــل زائعة الصــيت قشــرتنا الدماغية ســيّدة ا لموقف فهي التي تبني المجتمع وتحـافظ على بنيـانهـا وتعمـل على تطويره في حين يحـدد التنوع والإبـداع هويتنـا بفضــل جهازنا الطرفي. ولنا من هذا الجهاز في بهو الانتظار دعم بلا حدود من الجاذبية.



الفصل السادس

تصنيع الجمال
المكان الحقيقي للجراحة التجميلية

١ـ من المرأة الشيء إلى المرأة الجذابة، طريق طويل، طريق جميل

أليس من القوة والضعف معاً أن نرى في الإنسان حقيقة الوجود نفسه، وجود ظاهري، سطحي كبشرة الإنسان نفسها التي لا يمكن إنكار وجودها؟ ولكنّ هذه البشرة ربما كانت آخر ما نتذكره عن هيئة الإنسان عند رؤيتها.

إن الرغبة في الجمال قديمة جداً وترجع إلى ما قبل التاريخ وقد وُجدت آثار من الكحل وأدوات الزينة في مقابر من حقبة ما قبل التاريخ في مصر واليونان.

يثير الجمال على الدوام إحساساً طيباً وشعوراً بالانجذاب.

لقد كان البحث عن الجمال ولمدة طويلة السبيل الوحيد للتعبير عن الجاذبية، وكان الرجال يتمثلون القوة والذكاء تاركين للنساء الجمال بما فيه الحاجة الجنسية.

وبذلك بدأ الجنس الضعيف يقوى بجماله ولكن طبقاً لمعايير الرجل الذي مازال قوياً.

وبدأت فيما بعد أوصاف المرأة الجميلة تظهر على الملأ رسماً ونحتاً وتصويراً وشعراً وغناءً..

لقد جعل الرجل من المرأة طيباً ولكنه أوصد الأبواب من ورائها وسدَّ عليها كوى النور ودفنها أيضاً في أعماقه.

ثم جاء القرن الماضي ليشهد على تمرد المرأة على هذا الجمال الحبيس المفروض عليها وبدأت هي نفسها تختار معايير جمالها، إنها لم تعد أنثى الرجل بل أنثى بحسب تصوّرها.

وبدأت بالظهور تقليعات تثبت انقلاب صورة المرأة التي قصت شعرها على غرار ما يبدو عليه الرجل في عصرها.

لقد أصبح جمال المرأة يفرض كيانه واستقلاليته ومعه حصلت المرأة على استقلاليتها الاقتصادية لتبدأ بالابتعاد تدريجياً عن التصور الذكوري لها دون أن تتخلى بالطبع عن أنوثتها، لقد بدأت المرأة تجسد حقيقة جديدة.

أعادت الحياة لأمور التزّين والأزياء في الألبســة لتظهر ملامحها أكثر للعيان ولتحتل الموقع بأنوثة جديدة تتنفس الحرية وتتسم بالأناقة المبسّطة نسبياً وهي أولى مراحل المرأة في التعبير عن تحررها بإبراز ما ترتأيه جمالياً في جســدها وكأنها تُبرز كيانها لتُسمِعَ صوتها.

ولكن ســرعان ما انقلبت هذه الجمالية الأنثوية إلى لعبة أنثوية للملذات فوقعت المرأة من جديد فريســة ســهلة وفرصــة ذهبية لمختبرات المواد التجميلية ليبدأ معها جمال المرأة بالظهور كسلعة استهلاكية من الدرجة الأولى.

لقد اســتطاعت الصــناعة التجميلية نقل رصــيد حرية المرأة لحســابها لتطوير منتجات تجارية جديدة باستمرار نعيش على وقعها المكلف حقاً.

تخضـع النسـاء اليوم لدكتاتورية من نوع فريد وهي دكتاتورية الجمال المنمَّط، فمنهن من ترغبن في أنف ممثلة سينمائية، تربيعية أو بيضـاوية وجه أخرى ومنهن من تتمثلن بشفاه أو صدور بل أرداف صنعية(٢)...

ولكن بالمقابل هناك الكثيرات ممن كشفن الغش أعرضن عن الدخول في سوق للنخاسة من جديد والأمل فيهن كبير.

٢- كيف تبدو الجراحة التجميلية في الوقت الحاضر

لقد بدأ مفهوم الجراحة التجميلية للمرأة يتبدل منذ عشرين عاماً، فلم تعد النساء تتمثلن بـالنجوم في عـالم الفن على الخصــوص ولم تعد تصــررن على العودة بأعمارهن إلى عشرين أو ثلاثين سنة ذوت.

نساء اليوم تغيرن..

هنّ يردن البقاء أنفســهن بنفس التعابير ولكن بحيوية أكبر بعد تخليصــهن من آثار العمل في جلودهن..

---

(٢) تشير أرقام جمعية جراحي التجميل في ألمانيا على سبيل المثال إلى أن /٣٦٠/ ألف جراحة تجميل أجريت عام ٢٠٠٢ بالمقارنة بعشرين ألف فقط عام ١٩٩٠.

وهن على الغالب نساء مرهفات لهن وضع خاص بعد انفصال أو ترملّ أو تأثر بقصة من قصصهن المؤلمة كردّ فعل على الأسى.. ومن النساء من لا تريد أن تظهر بنت العشرين ولكنها تريد وبإصرار أن تكون ناجحة الجمال في الخمسين!

وربما كانت على حق في ذلك.

ناجحة الجمال في الخمسين لها من الحياة ما يؤهلها لممارسة الجاذبية ما يفوق بكثير بنت العشرين..

والمرأة بارعة بالفطرة.

والسؤال الذي يدور اليوم حول الجراحة التجميلية هو لم لا؟ وليس لماذا؟

والخيار الحقيقي هو مسألة شخصية.

ولكن هل المخاطرة ولو كانت طفيفة مقبولة في مجال الجراحة التجميلية لا سيما إذا كانت غير ضرورية؟

يميل معدل أعمار الإنسان إلى الارتفاع في عصرنا ومعه تصبح عملية تحسين "الواجهة" أمر مرغوب فيه للراحة النفسية والتناغم مع الوسط الخارجي.

إننا اليوم في عصر نحافظ فيه على شباب الروح مدة أطول ومعه يشعر البعض بضرورة مرافقة شباب الروح بجسد مُحسّن بل مرممّ. لم لا؟

وإذا لم نستطع اختراق المرآة أو كسرها لمَ لا نخلّفها خلف ظهورنا؟

٣- ما هو جواب الجراحة التجميلية؟

لقد أكّد أحد علماء الاجتماع حديثاً في مؤتمر حول تصرف النساء إزاء العلوم التجميلية في أمريكا على أنه في العشرية القادمة سيزداد طلب النساء على الجراحين التجميليين بنسبة خمسين بالمئة! وأنه سوف يُنظر إلى المرأة بتجاعيدها على أنها امرأة مهملة لنفسها كما ينظر اليوم للمرأة التي لا تعنى بنظافة أسنانها أو تدع فروة رأسها تتكشف عن جذور شعرها المصبوغ..

إنه كلام لا شك مبالغ فيه ولعمري محرضٌ مغرض!

إن المسؤولية الكبرى تقع على الجراح قبل غيره، فهو الذي يعرف الأشكال والأنماط المورفولوجية للوجوه وهو الذي يحيط بملامحها ويدقق في تفاصيلها وهو المؤهل بالطبع ليقرر ما يمكن تحويله وتجميله.

إن الحصول على نتيجة مرضية "طبيعية" هو رهن مهارة الجراح ولو كان لتطور التقنيات الحديثة دور لا يُستهان به في ممارسة مثل هذه العمليات الجراحية.

لأن الجّراح هو وحده الذي بإمكانه دراية تعابير ونضارة وبسمة بل نظرة الإنسان المُعالَج وهو في معالجته لشكل خارجي لابد قد تفّهم قبل غيره ما يدور في أعماق صاحب الشكل نفسه، إنه بمثابة الوسيط مابين "الزبون" وروحه الحيرى.

لاشك أنه فنان وحرفي في نفس الوقت لأنه يحرص على "رونقة" تعابير زبونه بإزالة آثار الزمن القاسي عليه. إنه دليل الزبون إلى كينونة أفضل. إنه كمن يُفقِده صورة المرآة للتصالح مع مرآة ذاته.

٤- صيانة الجمال: مفهوم آخر

يسود اليوم في أوساط بعض الاختصاصيين في الجراحة التجميلية مفهوم أقرب إلى لغة الكثيرين من زبائنهم بعد الجراحة وهو الصيانة بعد العملية. كما لو أنك تصلح أداة منزلية وتطلب بطاقة ضمانة بالصيانة إن لزم الأمر، لسنة، لسنتين أو لخمس سنين.. وهو بالنسبة للجراحة التجميلية أمر وارد في الحقيقية تشريحياً عندما يتعلق الأمر في التخلص من تجاعيد الوجه والرقبة وشدّ البطن وغيرها. وذلك لأن الزبائن حريصون هذه المرة على عدم الوقوع في شرك الترهل من جديد ولأن الجلد نفسه من وجهة نظر الأخصائيين لا يبقى على حالته بعد العملية ويتعلق بعمر الجلد نفسه الذي يحدد درجة ارتخائه مع العضلات.

يجدد الجلد نفسه كلياً كل خمس سنوات(٣)، إلا أن هذا العمل يتباطأ حيوياً كلما تقدم العمر بنا.

---

(٣) في حين يستغرق الشعر من ٢-٨ سنوات ليتجدد بالكامل بمعدل سنتيمتر واحد شهرياً.

والحقيقة أن الجلد الحالي مثلاً ليس هو الجلد نفســه الذي حملناه عند الولادة، ونحن صــغار، ولكن عملية الصــيانة تلك مقصــورة على من أُجريت له جراحة تجميلية ولا يمكن للجراح القيام بمثل تلك الجراحة على أكمل وجه على دفعات متباعدة زمنياً.

ومع ذلك فإن عملية الصــيانة بعد الجراحة التجميلية تعتبر عملية ناجحة جداً عندما يتعلق الأمر بلمسات صغيرة أو عندما تكون المعنية بالأمر مثلاً امرأة شابة لا يتطلب جلدها عملية جراحية تجميلية.

وفي النهاية هل الجراحة التجميلية ضرورة أم ترف؟

هل هي وسيلة علاجية أو تكميلية مشكوك في صلاحيتها زمنياً؟

قديماً كانت الجراحة العلاجية تُستعمل في إصلاح التشوهات الولادية أو في إصلاح التشوهات الناجمة عن الحروق والحوادث.

ولكن للجراحة التجميلية نتائج سلبية على صاحبها بالتأكيد مستقبلاً لاسيما إذا أُجريت في ســن مبكرة حيث يكون الجلد في طور النمو مع الجســم الأمر الذي قد يعطي بعد العملية مظهراً مغايراً بتشــوه آخر يقترن بتداعيات نفســية يطلق عليها المختصون رهاب التشوه*.

ولابد من التذكير أيضــاً على أن الكثيرين ممن يمارســون الجراحة التجميلية ليسوا اختصاصيين بالضرورة بل في مجالات بعيدة نسبياً ولا يجوز مثلاً لطبيب هضمية أن "يتبرع" ويجري عمليات شفط دهون أو طبيب جلدية يشد الوجه والعنق والجفون المرتخية ولا طبيب النسائية لنفخ الشفاه وغيرها..

---

* رُهاب التشوّه:

هو اضطراب توهم التشوه الجسدي ويتعلق بحالة مرضية متعلقة بتشوه في شكل منطقة معينة من الجسد كالأنف أو الشفتين أو الثديين أو الردفين وفي أغلب الأحوال يكون ذلك مبالغاً فيه بدرجة كبيرة إلى حد الذهاب إلى جراح التجميل الذي قد يخطئ وتزداد حالة المريض سوءاً.

إن النظر في المرآة للاطمئنان وإعادة الاطمئنان وتكرار الزيارة للجراحين التجميليين وأطباء الجلدية تبدو كأفعال قهرية على خلفية من القلق والتوتر.

خلاصة

لقد تعرضــت في هذه الصــفحات إلى الانطباعات والمشــاعر والقناعات التي أحملها حول مفهوم الجاذبية بيولوجياً..

إنني إذ أقول بأن الجاذبية لا يمكن إرجاعها إلى أبعاد مورفولوجية صرفة إنما أعتبر أنها حالة سلوكية وطريقة للكينونة في الحياة.. وإشعاع كذلك.

تترافق سـلوكية الجذّاب أو الجذّابة بتبدلات كيميائية في العضـوية تنشـط على أثرها شبكات عصبونية في الدماغ تثير هذه المواد الكيميائية حالة الجاذبية هذه ولا تسبّبها.

يتمركز تحت القشرة الدماغية ما يسمى بالجهاز الطرفي وهو جهاز أو منطقة أو "دماغ" يعود اكتشـــافه إلى نهاية الأربعينات وهو على اتصـــال نســـيجي وثيق بالمراكز الدماغية الأخرى ويعتبر بحق مايســـترو تنبيه العصـــبونات والحث على إفراز الهورمونات المثيرة لحالات من الجاذبية.

إن تنبيه هذه المراكز بل فتح داراتها يمكن تحقيقه إرادياً وهو محســـوب لنا كفتح مبين.

آمل أن أكون قد وُفقت في إظهار كيف أننا نســـتطيع بأنفســـنا تنشـــيط جهازنا الطرفي وإشـعال فتيل الجاذبية فينا وهذا ما يميزنا في إنسـانيتنا عن العالم الحيواني حيث أن تنشـــيط الإفرازات الهورمونية الجاذبة إنما يتمّ تفاعلياً بوجود الذكر أو الأنثى أو بحدث خارجي وليس باطني.

نعم إن الإنســان قادر على تشـغيل محرك الجاذبية فيه لو رغب في ذلك. وكما أن عضـوية الإنســان ليســت بآلة فإن الجاذبية لا يمكن حصــرها بكمّ من الحركات والكلمات.

إنها هالة تطوف من أعماقنا وتعلو فوق كل شيء.. كالحرية.

إن الاصطفاء الطبيعي – وهو سيّد العالم – سوف يعرف كيف يصطفي الإنسان الأكثر تكيفاً مع المجتمع وحدسي أنه سوف يختار للحقبة القادمة الأكثر جاذبية.

إن هذا البحث هو بمثابة تحدٍّ للنساء والرجال على حد سواء، تحدٍ يحثهم على تطوير قوى الجاذبية الحيوية في أنفسهم، إننا نملك جميعاً البنى التشريحية والفيزيولوجية اللازمة لذلك، شرط ألاّ تكون هذه البنى رهينة أعماق اللاوعي القهري.

الجاذبية مستقبل الإنسان المعاصر.

إنها أفضل تكيف مع الحياة عندما تقسو وفي كل وقت. وإذا ما عرفنا أن الجاذبية لا تأتي عن الجمال المورفولوجي فإننا نفهم بسهولة كيف أن البحث عن الجمال الصنعي في أيامنا هو بمثابة رفض للذات كما خُلقت.

بعد حكم المحاربين الأشاوس الذين نالوا إعجابنا لقرون عديدة، بعد حكم الذكاء الذي كان عليه تغيير وجه العالم وأفلح، وبعد دكتاتورية الخيلاء والجمال والنجاح في كسب المال، ألم يحن الوقت لحكم أفضل؟ حكم يقوم على العقلانية في علاقاتنا ولكن بنكهة المشاعر إرادياً؟

لتبقى الجراحة التجميلية بعدئذٍ ملاذاً للذين ما برحوا يبحثون في تيه الجمال المقفر.

كل هذا يتطلب تطور عقلية الرجل وتطور عقلية المرأة وتطور مفهومها للعلاقة المتبادلة.

وثمة مؤشراتٍ تُظهر حواء متقدمة على آدم مرة أخرى.

دليل المصطلحات

باللغة الإنكليزية	باللغة الفرنسية	باللغة العربية
Anatomy	Anatomie	علم التشريح
Ageing	Vieillissement	ترهّل
Acquired	Acquis	مكتسب
Adaptation	Adaptation	تكيّف
Allergy	Allergie	أرج، تحسّس، تآق
Antibepressives	Antidépressifs	مضادات اكتئاب
Assurance	Assurance	اطمئنان
Anxiety	Anxièté	قلق
Anorexia	Anorexie	قُهمْ (عصبي)
Beauty	Beauté	جمال
Bulimia	Boulimie	نُهام
Brain	Cerveau	دماغ
Boldness	Audace	جرأة
Conform	Conforme	مطابق
Cosmetics	Cosméthiques	تجميلية
Conviction	Conviction	اقتناع
Cerebral cortex	Cortex cérébral	القشرة الدماغية
Conquest	Conquête	غزوة
Circuit	Circuit	مسار، دارة
Compulsive	Compulsive	قهري
Cervical lobe	Lobe cervical	فص دماغي
Cervical trunk	Tronc cervical	جذع دماغي
Cognitive	Cognitif	معرفي
Censure	Censure	رقابة
Circadian	Circadian	يومي
Cerebral stroke	Infarctus cerébral	سكتة دماغية
Degradation	Dégradation	تدرّك

Disgrace	Disgrâce	انعدام الحظوة
Deliberation	Délibération	مداولة
Donation	Don	موهبة
Divorce	Divorce	طلاق
Dysmor - phophobia	Dysmorphophobie	رُهاب التشوه
Dysthymic	Dysthymie	عسر المزاج
Endothermic	Endothermique	ماصّ للحرارة (تفاعل)
Exothermic	Exothermique	مولّد للحرارة (تفاعل)
Emotion	Emotion	عاطفة
Erotism	Erotisme	إغراء
Evolution	Evolution	تطور
Elasticity	Elasticité	مطواعية
Emotional	Emotional	عاطفي
Effector	Effecteur	مُفَعِّل
Electro - encephalogram	Electroencéphalogramme	تخطيط دماغي
Ego	Ego	الأنا
Fashion	Mode	موضة
Fluid	Fluide	مائع
Freshness	Fraicheur	حداثة
Flood	Flux	سيّالة
Generosity	Générosité	أريحية
Globalization	Globalization	عولمة
Harmony	Hormonie	تناغم، انسجام
Hindrans	Entraves	منغصّات
Hypothalamus	Hypothalamus	تحت المهاد (تحت الوطاء)
Intuition	Intuition	حدس
Intimate	Intime	حميمي
Limbic system	Système Limbique	الجهاز الطرفي (الحوفي)

Lucrative marketing	Marché Lucratif	سوق للربح
Lifting	Lifting	شدّ الجلد
Media	Médias	الإعلام
Maintenance	Maintenance	صيانة
Metabolism	Métabolisme	عمليات الأيض (الاستقلاب)
Mania	Manie	هوس
Mood	Humeur	مزاج
Narcissic	Narcisse	نرجسي
Noble	Noble	نبيل
Neuromediators	Neuromédiateurs	نواقل عصبية
Neuron	Neurone	خلية عصبية (عصبون)
Neuroticism	Neuroticisme	عصابية
Obsessive	Obsession	وسواس
Osmetic	Osmose	حلول
Obsessive Idea	Idée obsessive	فكرة تسلطية
Pineal	Pinéale	صنوبري
Propaganda	Propaganda	دعاية
Publicity	Publicité	إعلان
Persuation	Persuation	إقناع
Passion	Passion	محبة
Pleasure	Plaisir	لذة
Positron	Positron	بـوزيـتـرون (مـا يـقـابـل
Raison	Raison	العقل
Reactional	Réactionnel	تفاعلي
Rythme	Rythme	نظم
Seduction	Séduction	جاذبية
Slimming	Amaigrissement	تخسيس
Skin	Peau	جلد
Star – system	Système de stars	فبركة النجوم (فن)

Surgical esthetic	Chirurgie esthétique	جراحة تجميلية
Synapses	Synapses	مشابك (ج مشبك)
Senses	Sens	حواس
Synthesis	Synthèse	تخليق (تركيب)
Sedatives	Calmants	مهدئات
Selectif	Sélectif	اصطفائي
Stress	Stress	كرب
Somatic	Somatique	جسدي
Top model	Modèle type	شكل منمّط
To be / to appear	Etre / Apparaitre	أن نكون / أن نظهر
Tiredness	Fatigue	تعب
Tachycardy	Tachycardie	تسارع النبض
Tendancies	Tendances	نوازع
To be himself	Etre soi	كينونة
Ugliness	Laideur	قبح
Universal	Universel	كوني
Vegetatif	Végétatif	إعاشي
Vigilance	Vigilance	حذر، تأهب
Widowhood	Veuvage	ترمّل

المؤلف في سطور

- مصطفى قره جولي
- من مواليد دمشق / ١٩٤٤
- حائز على دكتوراه في الكيمياء الحيوية والجرثومية من جامعة ليون بفرنسا عام ١٩٧٢.
- عمل أستاذاً محاضراً في جامعات فرنسا والجزائر وليبيا في علوم الكيمياء الحيوية.
- عمل على مشروع البروتينات البترولية المنشأ لدى الهيئة الوطنية للبحث العلمي في الجزائر .
- عمل في قسم تكنولوجيا الإشعاع ـــ مخبر الكيمياء الحيوية ـــ لدى هيئة الطاقة الذرية السورية.
- من مؤسسي مجلة التغذية والنمو الصادرة عن معهد التغذية في الجزائر.
- له العديد من الأبحاث والدراسات باللغات العربية والفرنسية والإنكليزية.

الفهرس

الفصل الرابع

الفصل الخامس

الفصل السادس